جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية

علماء بردان
ومروياتهم التاريخية

رسالة قدمها الى
مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى وهي جزء من
متطلبات نيل شهادة ماجستير ادأب
في التأريخ الإسلامي

الطالب
قصي قاسم حسين

بإشراف
الأستاذ الدكتور
تحسين حميد مجيد

شعبان/1435هـ حزيران/2014م

الفصل الأول

بردان دراسة في المدن

التسمية :

جاء في معاجم اللغة العربية بَرْدَانْ بالتحريك[١] ، والنسبة : بردانـي ، بفتح الباء الموحدة والراء والدال المهملة ، وفي أخرها النون[٢] ، والقنطري نسبة الى قنطرة البردان ، والبردان هو موضع من سواد العراق[٣] .

والبردان لغة : دلت على معانٍ عدة : وتعني يوم صخدان ، أي شديد الحر ، وصخدان الحر شدته[٤] ، وتعني الغداة والعشي[*][٥] ، وتعني أيضاً أزرار الرداء

---

(١) ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الأفريقي (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، ط٣ ، دار صادر ، (بيروت ، ١٤١٤هـ) ، ج٥ ، ص٨٤ .

(٢) السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي أبو سعد (ت٥٦٢هـ) ، الأنساب ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، ط١ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد ، ١٣٨٢هـ) ، ج٢ ، ص١٤٤ .

(٣) ابن الأثير ، علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري أبو الحسن عز الدين (ت٦٣٠هـ) ، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، (بيروت ، بلات) ، ج٣ ، ص٦٠ .

(٤) الفارابي ، إسحاق بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين أبو إبراهيم (ت٣٥٠هـ) ، معجم ديوان الأدب ، تحقيق : احمد مختار عمر ، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر ، (القاهرة ، ١٤٢٤هـ) ، ج٢ ، ص٢ .

(*) الغداة والعشي : وهما الابردان وسميا بذلك لبرد هوائهما ، وبخلاف ما بينهما من النهار ، ينظر : المنذري ، عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد (ت٦٥٦هـ) ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤١٧هـ) ، ج١ ، ص١٧٥ .

(٥) الأزهري ، محمد بن احمد الأزهري الهروي أبو منصور (ت٣٧٠هـ) ، تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٤٢٢هـ) ، ج١٤ ، ص٧٧ ؛ ابن أبي نصر ، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الازدي الميورقي ابو عبد الله (ت٤٨٨هـ) ، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، تحقيق : زبيدة سعيد عبد العزيز ، ط١ ، مكتبة السنة ، (القاهرة ، ١٤١٥هـ) ، ص٧٩ ؛ أبو زكريا ، محيي الدين يحيى بن شرف النوري (ت٦٧٦هـ) ، رياض الصالحين ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٤١٩هـ) ، ص٢٣٠ ؛.

والازراء[١] ، ويقال : البردان عن السيوف البوارد ، وقيل : هي القواتل[٢] ، وقيل : من الحديد باردٌ وأنشد :

وأن أمير المؤمنين اغضني ... معظهما بالمرهفات البوارد

ويقصد بالبردان معناً أخر هو : طرفا النهار[٣]

أما معنى اسم المدينة : فهي تسمية ليست عربية ، وإنما تسمية فارسية ، فذكر ابن الفقيه (ت٣٦٥هـ) ، سميت البردان التي فوق بغداد بأربعة فراسخ[*] برداناً لأن ملوك الفرس كانوا إذا أتوا بالسبي فقسموا شيئاً منه قالوا : بردة[**] أي ذهبوا به الى القرية تلك وسميت بذلك[٤] ، ولعل هذه القرية كانت منزل الرقيق فسميت بذلك[٥] ، ولأنهم يلحقون الدال والألف والنون في بعض ما يجعلونه وعاءً للشيء كقولهم لوعاء الثياب مثلاً : جامة دان ، ولوعاء الملح : نمكدان وما أشبه بذلك[٦] .

---

(١) العراقي ، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم أبو الفضل (ت٨٠٦هـ) ، طرح التثريب في شرح القريب ، المطبعة المصرية القديمة ، (بلام ، بلات) ، ج٨ ، ص١٦٨.

(٢) الرازي ، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت٣٩٥هـ) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٧٩م) ص٢٤٢ .

(٣) ابن فارس ، احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت٣٩٥هـ) ، مجمل اللغة ، تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ج١ ، ص١٢٤ .

(*) الفرسخ : هو ثلاثة أميال أو ستة كيلومترات ، ينظر : فالتز هنتز ، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ترجمة : كامل العسلي ، (الأردن ، بلات) ، ص٩٤ ؛ إبراهيم بن سليمان ، الأوزان والمقادير ، ط١ ، (بيروت ، ١٣٨١هـ) ، ص٨٦ .

(**) بردة : وهي تعريب بردادان ، أي محل السبي ، وبردة بالفارسية هو الرقيق المجلوب في أول إخراجه من بلاد الكفر : ينظر : الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، (بلام ، بلات) ، ج٧ ، ص٤٣٣.

(٤) ابن الفقيه ، أبو عبد الله احمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت٣٦٥هـ) ، البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي ، ط١ ، عالم الكتب ، (بيروت ، ١٩٩٦م) ، ص٣٦٣ .

(٥) سوسة ، احمد ، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ، ط١ ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٤٩م) ، ج٢ ، ص١٨٩-١٩٠ .

(٦) الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٩٥م) ، ص٣٧٥ .

وكان بخت نصر[*] لما سبي اليهود أنزلهم هناك الى أن ورد عليه أمر الملك لهراسف[**] من بلخ بما يصنع بهم ، وفيه يقول جحظة[***] :

أدفع ورود الهّم عنك بقهوة ... مخزونة في خانة الخمّار
جازت مدى الأعمار ، فهي كأنها ... عند المذاق تزيد الأعمار
يسعى بها خنش الجفون منّعم ... في خدّه ماء النضارة جار
في رّقة البردان بين مزارع ... محفوفة ببنفسج وبهار
بلد يشبه صيفه بخريفه ... رطب الامائل بارد الأسحار[١]

(*) بخت نصر : وهو ملك الكلدانيين وقد ملك عرش بابل من ٧٤٧-٧٣٣ق.م ، والذي بدأ به تقويم بطليموس ، ينظر : الدينوري ، أبو حنيفة احمد بن داود (ت٢٨٢هـ) ، الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، ط١ ، دار إحياء الكتاب العربي ، (القاهرة ، ١٩٦٠م) ، ص٤١ .

(**) لهراسف : هو من بنى مدينة بلخ وعمرها وخرب مدينة بيت المقدس وشرد من كان بها من اليهود ، ويقال : أنه ابن أخ كيكاوس وأتخذ سريراً من ذهب مرصعاً بالجواهر وبنيت له بخراسان بلخ وسكنها لقتال الترك ، ينظر : ابن مسكويه ، أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ) ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، تحقيق : أبو القاسم إمامي ، ط٢ ، سورش ، (طهران ، ٢٠٠٠م) ، ج١ ، ص٨١ ؛ ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص (ت٧٤٩هـ) ، تاريخ ابن الوردي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ، ج١ ، ص٣٦ .

(***) جحظة : أبو الحسن احمد بن جعفر بن موسى بن برمك النديم المعروف بجحة البرمكي ، حسن الأدب ، كثير الرواية للأخبار والفنون والعلوم ، حافظاً في النحو والشعر واللغة ، ولد سنة (٢٢٤هـ) ، وتوفي سنة (٣٢٤هـ) ، ينظر : السمعاني ، الأنساب ، ج٢ ، ص١٨٣ .

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ص٣٧٦ .

وذكرت البردان بأسماء أخرى ، فقد أورد بكنغهام في كتابه (رحلتي إلى العراق) قائلاً: أنها مأخوذة من " بردة داة " وتعرف الآن باسم " البهان بدران " وتقع على بعد (١٨كم) من شمال بغداد[١] ، وسميت " بدران " كما أشار بذلك لسترنج في ذكره الطريق الشرقي من بغداد وقال : يبلغ الطريق الشرقي من بغداد إلى البردان بأربعة فراسخ وهي ما زالت قائمة ، وتحرف اسمها الى " بدران "[٢] .

و" ايشان بدران " إذ ذكر الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة في كتاب " دليل خارطة بغداد المفصل " في خطط بغداد قديماً وحديثاً : لعل موضع البردان هو " ايشان بدران " الحالي الواقع على بعد (١٨كم) في الشمال من مدينة بغداد ، اعتباراً أن كلمة بردان غيرت فصارت " بدران "[٣] بعد تناقلها خلال الالف سنة الأخيرة ، ولكن أن البردان تقع على ضفة نهر دجلة الشرقية تماماً قديماً ، في حين تقع " ايشان بدران " الحالية على مسافة (٦كم) من ضفة النهر ، ونستخلص من ذلك أن نهر دجلة كان يجري في هذه المنطقة في غير مجراه الحالي[٤] .

الموقع الجغرافي[*] :

اختلف البلدانيون في تحديد موقعها ، فذكر ابن الفقيه (ت٣٦٥هـ) إنها تبعد عن بغداد أربعة فراسخ[٥] أما العزيزي (ت٣٨٠هـ) قال : إنها مدينة عامرة على شاطئ دجلة من أعمال بغداد ، بينها وبين بغداد خمسة فراسخ[٦] ، بينما عدها الحموي (ت٦٢٦هـ)

---

(١) جميس ، رحلتي الى العراق ، ترجمة : سليم طه التكريتي ، المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، ١٩٦٩م) ، ج٢ ، ص٢٠٤ .

(٢) لسترنج ، كي ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، بلات) ، ص٧١ .

(٣) مصطفى جواد واحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد المفصل ، المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، بلات) ، ص١١٠ .

(٤) احمد سوسة ، ري سامراء ، ص١٩٨٩-١٩٠ .

(*) ينظر الموقع الجغرافي في الملحق : خارطة (١،٢،٣،٤،٥،٦،٧) .

(٥) ابن الفقيه ، البلدان ، ص٣٦٣ ؛ نيبور ، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة : حمود حسين أمين ، وزارة الثقافة والإرشاد ، (بلام ، بلات) ، ص٧٣ .

(٦) العزيزي ، الحسن بن احمد المهلبي (ت٣٨٠هـ) ، الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك ، تحقيق : تيسير خلف ، (بلام ، بلات) ، ص١١٣ .

أنها من نواحي الدجيل وتبعد سبع فراسخ من بغداد قرب صريفين[١] ، أما صفي الدين (ت٧٣٩هـ) يقول : أنها من نواحي الخالص تبعد عن بغداد سبعة فراسخ[٢] ، وعدها آدمز : أنها في ضمن منطقة ديالى تقع في الجانب الشرقي الشمالي من بغداد[٣] ، أما الدكتور احمد سوسة فيذكر في كتابه " ري سامراء " : حيث كانت البردان عامرة تقع شرق دجلة عند مصب نهر الخالص ، وأن ابن خرداذبة ذكر أنها تقع على طريق البريد العام بين بغداد وسامراء على بعد أربعة فراسخ أي حوالي (١٨كم) من شمالي بغداد ، لكن أبو الفداء ذكر أنها تبعد خمسة فراسخ من بغداد ، أما الحموي فقال : إن المسافة بينها وبين بغداد سبعة فراسخ ، ولعل قول ابن خرداذبة أصح التقدير ، لأن عصره يرجع قبل عصر الحموي وأبي الفداء بعدة قرون ، فضلاً عن ذلك أن ابن عبد الحق يصحح ياقوت قائلاً : إن الموضع الذي أشار إليه ياقوت غير معروف[٤] .

وهناك مواضع كثيرة حملت التسمية نفسها ومنها : في الحجاز يطلق على جبل مشرف بوادي نخلة[*] قرب مكة ، وفيها قال ابن ميادة[**][٥] :

ظلت بروض البردان تغتسل ... تشرب منها نخلات وتعل

---

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ص٣٧٥ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٧ ، ص٤٢٣ .

(٢) ابن عبد الحق ، عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي صفي الدين (ت٧٣٩هـ) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ط١ ، دار الجيل ، (بيروت ، ١٤١٢هـ) ، ص١٧٩ .

(٣) آدمز ، روبرت ماك ، أطراف بغداد (تاريخ الاستيطان في سهول ديالى) ، ترجمة : صالح احمد العلي وآخرون ، مطبعة المجمع العلمي العراق ، (بغداد ، ١٩٨٤م) ، ص٢٨٥ .

(٤) ري سامراء ، ص١٨٨-١٨٩ .

(*) وادي نخلة : وهو جبل قرب مكة وفيها منزل حسن ابن عمر الفقيه أبو محمد عبد الله بن فرحان الأفريقي التوزري ، ينظر : ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي أبو عبد الله (ت٧٩٧هـ) ، رحلة ابن بطوطة أو تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار الشرق العربي ، (بلام ، بلات) ، ج١ ، ص١١٢ .

(**) ابن ميادة : اسمه الرماح بن يزيد أو ابن ابرد يصل نسبه الى سعد بن ذبيان ، وميادة أمه ، وكان يزعم أنها فارسية ، وهو شاعر إسلامي وكان قد هجى الشعراء ، ووفد الى المنصور ومدحه وكذلك الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ينظر : ابن المعتز ، عبد الله بن محمد العباسي (ت٢٩٦هـ) ، طبقات الشعراء ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، ط٣ ، دار المعارف ، (القاهرة ، بلات) ، ج١ ، ص١٠٥ .

(٥) الزمخشري ، محمود بن عمرو بن احمد جار الله أبو القاسم (ت٥٣٨هـ) ، الجبال والأمكنة والحياة ، تحقيق : احمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، (القاهرة ، ١٣١٩هـ/١٩٩٩م) ، ص٤١.

وإنها عين بأعلى نخلة من أرض تهامة(*) وبها عينان ، وأيضاً ماء لبني نصر بن معاوية بالحجاز ، وقال فيها عميرة بن جعيل بن عمر بن مالك بن الحارث بن حبيب ابن عمرو بن غنيم بن تغلب(١) :

ألا يا ديار الحي بالبردان! ... خلت حجيج بعدي لهن ثمان

فلم يسبق منها غير نؤي مهدمّ ... وغير أوار كا الرّكيّ دخان

وفي العراق مواضع عدة : ماء بالسماوة من جهة العراق ، وماء للضباب قرب دار جلجل ، وهي من جبال الحمى الذهلول ، وهو ماء مالح كثير النخل ، والبردان في الكوفة وفيها منازل وبرة بن رومانس ، ووبرة هذا هو وبرة الأصغر بن رومانس ابن معقل بن محاسن بن عمرو بن عبد ودّ بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة ، أخو النعمان بن المنذر من أمه وقد مات ودفن بهذا الموضع ، وبذلك يقول مكحول بن حرثة يرثيه(٢) :

ألا يا عين جودي باندفاق ... على مردى قضاعة بالعراق

فما الدنيا باقية لحيّ ... ولا حي على الدنيا بباق

لقد تركوا على البردان قبراً ... وهموا للتفرق بأنطلاق

وكذلك البرادان : على دجلة بمسيرة نصف يوم من بغداد(٣) .

(*) تهامة : منطقة من اليمن وتكون من جبال مشتبكة ، من غربها بحر القلزم ، ومن شرقها ناحية صعدة وجرش ونجران ، وشمالها مكة وصنعاء ، وجنوبها بحدود عشر مراحل ، ينظر : الاصطخري ، إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي أبو إسحاق (ت٣٤٦هـ) ، المسالك والممالك أو مسالك الممالك ، دار صادر ، (بيروت ، ٢٠٠٤م) ، ص٢٣ .

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٧٥ .

(٢) ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج١ ، ص١٧٩ .

(٣) الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد (ت٢٠٤هـ) ، نسب معد واليمن الكبير ، تحقيق : ناجي حسن ، ط١ ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، (بلام ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ؛ ابن الفقيه ، البلدان ، ص٣٦٣ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٧٥ .

أما في الشام فيجوز أن تكون البردان الذي هو بالسماوة ، والبردان هنا : نهر بثغر طرسوس يأتي من بلاد الروم ويصب في البحر على ستة أميال من طرسوس ، والبردان كذلك هو نهر سقي بساتين نهر مرعش(*) وضياعها ، ومخرجه من جبل مرعش ويسمى " الأقرع " ، والبردان : هو سيح موضع باليمامة(**) فيه نخل(١) .

وكانت مدينة البردان قائمة قبل الإسلام بعد أن تحررت وأصبحت تحت الإسلام وعهوده ، جرت عليها المحاولات في بناءها منذ مدة خلافة المنصور الذي أراد بناءها ثم رجع الى بغداد العاصمة التي أسسها(٢) ، وفي زمن خلافة المعتصم أراد الخروج من بغداد بعد أن قام جنده الأتراك بإثارة الفتن مع أهل بغداد ، حيث إذا ركبوا الدواب ركضوا يدعمون الناس شمالاً ويميناً ويتقاتلون فتعم الضوضاء وبذلك ثقل عليه ذلك(٣) ، وعزم على الخروج من بغداد وأول ما خرج الى الشماسية خارج بغداد ، ولكن قد ضاقت عليه أرض ذلك الموقع ، وأيضاً أنه كره قربها من بغداد ، ورحل عنها ثم مضى الى البردان ، ثم أقام بها أياماً ومن ثم بعدها مر الى القاطول(***) ومن بعدها بدأ ببناء مدينة سامراء(٤).

(*) مرعش : بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده عين مهملة مفتوحة وشين معجمة ، من ثغور أرمينية . ينظر : أبو عبيد البكري ، عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، ط٣ ، عالم الكتب ، (بيروت ، ١٤٠٣هـ) ، ج٤ ، ص١٢١٥ .

(**) اليمامة : وهي من الإقليم الثاني من الغرب إحدى وسبعون درجة ، وعرضها من جهة الجنوب إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة ، وفتحت في أيام الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ وقتل فيها مسليمة الكذاب سنة (١٢هـ) على يد الأمير خالد بن الوليد ، وبينها وبين البحرين عشرة أيام ، وعن تسميتها فكانت أسهما جّوا وسميت باليمامة نسبة لليمامة بن سهم بن قسم ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٤٤٢ ؛ الهمداني ، الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود أبو محمد ابن الحائك (ت٣٣٤هـ) ، صفة جزيرة العرب ، مطبعة اربل ، (ليدن ، ١٨٨٤م) ، ص١٦١ .

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٧٦ .

(٢) ابن الفقيه ، البلدان ، ص٣٦٧ .

(٣) اليعقوبي ، احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢هـ) ، البلدان ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بلام ، ١٤٢٢هـ) ، ص٥٦ .

(***) القاطول : بوزن فاعول ، القطل هو القطع ، ونهر مقطوع من دجلة كان في موضع سامراء قبل ان تعمر ، وكان الرشيد أول ما حفره وبنى فيه قصراً وسماه " أبا الجند " ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٩٧ .

(٤) الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : أحسان عباس ، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة ، (بيروت ، ١٩٨٠م) ، ص٣٠٠ .

فهي تقع على طريق خراسان الرئيس الذي يتجه الى الشمال الشرقي من بغداد تاركاً عن يساره محلة دار الروم[*] حتى يصل الى قنطرة البردان فوق نهر المهدي ، فيعبرها الى باب البردان على سور المستعين ومنه يتجه نحو البردان ، وكان هذا الطريق يسمى " طريق باب البردان "[١] ، والبردان من القرى المهمة التي تقع ما بين عكبرا وبغداد ، واقعة في الجانب الشرقي من دجلة عند مصب نهر الخالص القديم[٢] .

وتقع البردان في شبكة من الانهار ، وبين القلقشندي (ت٨٢١هـ) عن مجرى نهر دجلة ويقول : يأتي نهر دجلة من الموصل ، ثم يسير شرقاً الى تكريت ، ويأخذ شرقاً الى سر من رأى ، وجنوباً الى عكبرا ، ثم شرقاً الى البردان ويذهب جنوباً وميله شرقاً الى بغداد[٣] ، إذن فهي واقعة على النهر وعن بعد مسافة[**] بذلك هي من ضمن المناطق الشرقية لدجلة بين بغداد الى البردان الى عكبرا[٤] ، ومن الأنهار الأخرى عند البردان نهر الخالص[٥] ، ويقال : أن له نهراً يسمى نهر الفضل حيث يجري إلى أن ينتهي الى باب الشماسية[٦] ، ويؤخذ منه نهر يقال له : نهر المهدي ، ويجتاز المدينة في شارع

(*) دار الروم : سميت محلة دار الروم بتلك التسمية نسبة إلى الأسرى الروم الذين أتوا فيها في عهد الخليفة المهدي ما بين سنتي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م) فشيدوا فيها هناك بيعة وديراً لهم ، وكان يعرف هذا الدير باسم " دير الروم " ، ينظر : مصطفى جواد واحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص١١٦ .

(١) مصطفى جواد واحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص١١٦ .

(٢) احمد سوسة ، ري سامراء ، ص١٨٨ .

(٣) احمد بن علي بن احمد القزاز القاهري (ت٨٢١هـ) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، بلات) ، ج٤ ، ص٣٩٨ .

(**) مسافة : تبعد البردان عن دجلة الحالية مسافة (٦كم) ، وهو في شرق قرية الداودية التي على النهر ، ينظر : لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٧١ .

(٤) ابن حوقل ، محمد بن حوقل البغدادي أبو القاسم (ت٣٦٧هـ) ، صورة الأرض ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٣٨م) ، ص٢٣٣ .

(٥) مصطفى جواد واحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص١١٠ .

(٦) ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٢م) ، ج٨ ، ص٨١ .

يسمى شارع المهدي[١] ثم يمتد في المدينة ، وبنيت عليه قنطرة سميت باسم القرية وهي " قنطرة البردان "[٢] ، أما عن نهر الخالص فإن منبعه أنه يحمل من عين تامرا[*] ويصب في دجلة عند البردان شمال بغداد[٣] .

والملاحظ أن البردان تعد من إحدى أبواب بغداد الشرقية ، وإن التي تقع على سور بغداد الشرقية ثلاثة وهي : باب الشماسية ، وباب البردان ، وباب خراسان[٤] ، وتوجد في البردان مقبرة سميت مقبرة باب البردان ، وفيها جماعة من أهل الفضل والعلم[٥] ، وإن هذه المقبرة تقع خارج باب البردان ، وأشار ليسنر هنا الى مكانين منفصلين هما : مقبرة المالكية[**] ، ومقبرة باب البردان[٦] ، حيث تقع مقبرة باب البردان شمال دار الروم ، أما المقبرة المالكية فهي تقع خارج باب البردان أيضاً المنسوبة الى عبد الله بن مالك[٧] .

---

(١) الخطيب البغدادي ، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي (ت٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت ، ٢٠٠٢م) ، ص٤٣٦ .

(٢) مصطفى جواد واحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص١١٦ .

(*) تامرا : هو نهر ديالى ، وأطلق عليه المؤرخون والبلدانيون العرب تسميات منها : ديالى ، ديالا ، تامرا ، النهروان ، ينظر : مجيد ، تحسين حميد ، ديالى والنهروان عبر التاريخ ، مجلة ديالى ، العدد٢٥ ، كلية التربية ، جامعة ديالى ، ٢٠٠٧م ، ص١ .

(٣) مجيد ، دراسات في تاريخ ديالى ، المطبعة المركزية ، (جامعة ديالى ، ٢٠١٠م) ، ج١ ، ص١٧ .

(٤) ليسنر ، يعقوب ، خطط بغداد في العهود العباسية الأولى ، ترجمة : صالح احمد العلي ، المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، ١٩٨٤م) ، ص١٧٨ .

(٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ص٤٤٥ .

(**) المالكية : تنسب الى رجل اسمه مالك ، وهي قرب باب بغداد ، وينسب إليها أبو الفتح محمد بن الحسين الصابوني الخفاف المالكي الحنبلي ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٤٣ .

(٦) ليسنر ، خطط بغداد ، ص٢١٠ .

(٧) مصطفى جواد واحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص١١٦ .

وتوجد في البردان أسواق وشوارع عدة ، ويذكر اليعقوبي (ت٢٩٢هـ) : توجد في بغداد خمسة طرق من ضمنها طريق في السوق ويقال لها : سوق خضير وهي معدن طرائف الصين ، وطريق في الجانب الأيسر يصل الى باب البردان ، وهناك فيها منازل خالد بن برمك ، والى السوق المعروفة بسوق يحيى(*) الى باب الشماسية ببغداد(١) ، وكان ملك الروم إذا شرب دعا بالصور فيشرب على مثال سوقيه نصر ، ويقول : لم أرَ صورة من الأبنية أحسن منه(٢) ، وكانت دكاكين سوق يحيى عالية على طراز باب الطاق ، وهي سوق جامعة فيها خبازون ، دقاقون ، حلابون ، ويكمن نشاط هذا السوق أنها تقع بين مساكن الوزراء ، والأمراء ، والرؤوساء ، والموسورين ، وهؤلاء عادة تكون عندهم القدرة الشرائية الكبيرة جداً فيحركون السوق(٣) .

ومن الشوارع والمناطق التي توجد في قرية البردان منها : محلة دار الروم المذكورة سالفاً ، وشارع " سوقية نصر " وكان الطريق من تحت قنطرة البردان ، وسمي بذلك نسبة الى نصر بن مالك الخزاعي ، الذي أقطعهُ المهدي هذه القطيعة ، وكذلك كان على الجانب الأيسر من طريق باب البردان قطائع البرامكة في أعلى بغداد الشرقية والتي كانت تمتد من طريق باب البردان حتى طريق الشماسية غرباً ، وقد انتقلت تلك القطائع الى زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد بعد نكبة البرامكة ، ثم انتقلت في عهد الخليفة المأمون الى طاهر بتخويل منه ، فتوارثها عنه أحفاده الامراء والولاة الطاهريين ، وكذلك " شارع الميدان " وكان جنوب شارع البردان عن يمين طريق خراسان ، وإن أجمل الشوارع في الجانب الشرقي من بغداد شارع سويقة نصر ، وشارع الميدان ، على رأي

(*) سوق يحيى : تنسب الى يحيى بن خالد البرمكي الذي منحه هارون الرشيد إقطاعاً هناك ثم الى أم جعفر بعد نكبة البرامكة ، وبعدها أقطعها المأمون الى طاهر بن الحسين بعد مقتل الأمين ، ينظر : ابن الفقيه ، البلدان ، ص٥٥ .

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص٤٩ .

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٢ ، ص١١١ .

(٣) الكبيسي ، حمدان عبد المجيد ، أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي ، وزارة الثقافة والفنون ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٧٩م) ، ص١٠٥ .

إمبراطور القسطنطينية ، والقصور التي في الأسواق والشوارع من سويقة نصر إلى قنطرة البردان[١] ، كانت البردان تحيط بها وتتبعها كثير من القرى والنواحي منها :

أولاً . جويث :

بتخفيف الواو وفتحها موضع بين بغداد واوانا قرب البردان[٢] ، وجاء في مراصد الاطلاع : أن البردان من الجانب الشرقي من دجلة ، وأوانا من جانبها الغربي ، فأما أن تكون الجويث بذلك بين بغداد والبردان ، وأما بين بغداد واوانا[٣] ، وكانت قرية " جويث " من القرى المهمة في هذه المنطقة ، وهي لا تزال محافظة على اسمها القديم حتى اليوم ، وتسمى أراضيها الواقعة شرقي " تل مسكن " قرية مسكن ، أي ما بين الضفة الغربية لمجرى دجلة القديم ومجرى دجيل وهي " أراضي جويث "[٤] ، وقال فيها جحظة[٥] :

أيام عينك بالحبيب ... وقرية عين قريـرة
أيام تجدي حيث كنت ... لعاشق كفا منيـرة
ما بين حانات الجويث ... الى المطيرة[*] فالحضيرة[**]
وغدوت بعد جوارهم ... متحيراً في شر جيره

---

(١) مصطفى جواد واحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص١١٦-١١٧ .
(٢) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٩١ .
(٣) ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ص٣٦٢ ؛ ينظر : ابن ناصر الدين ، ابن ناصر الدين ، محمد بن عبد الله بن محمد بن احمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي (ت٨٤٢هـ) ، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٩٣م) ، ج٢ ، ص٥٧ .
(٤) احمد سوسة ، ري سامراء ، ص٢٠٠ .
(٥) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٩١ .
(*) المطيرة : من قرى سامراء ، وهي أشبه أرض الله بالجنان ، من لطافة الهواء وعذوبة الماء وطيب التربة وكثرة الرياحين ، وهي من منتزهات بغداد يأتيها أهل الخلاعة ، وقد وصفها بعض الشعراء وقال:

سقياً ورعياً للمطيرة موضعاً ... أنوارها الخيري والمنشور
فيها البهار معانقاً لبنفسج ... فكان ذلك زائراً ومـــــزور
وكان نرجسه عيون كحلها ... بالزعفران ، جفونها الكافور
تحيا النفوس بطيبها فكأنها ... وصل الحبيب يناله المهجور

ينظر : القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٦٠م) ، ص٤٦١ .
(**) الحضيرة : هي محلة ببغداد في جانبها الشرقي ، ينظر : السمعاني ، الأنساب ، ج٤ ، ص١٨٦ .

ثانياً . كركين :

بكسر الكافين وآخره نون[١] : من قرى بغداد قرب البردان[٢] ، وقد ذكر جحظة في اماليه وقال : كتب علي بن يحيى المنجم الى الحسن بن مخلد في يوم مهرجان :

ليت شعري مهرجت يادهقان ... وقديماً ما مهرج الفتيان

لمَ أزل أعمل الزجاجة حتى ... كان مني ما يعمل السكران

فأجابه ابن مخلد يقول :

إصويا[*] ذافلودعيت بكسرى ... وعلت في قبابك النيــران

لم تجاوز بيوت كركين شبراً ... اين منك النوروز[**] والمهرجان[***]

وأنشد جحظة لنفسه[٣] :

يا نسيم الروض بالسحار ... هيجت ارتياحي

لقرى كركين والقفص ... وعصيان اللواحي

واستماعي ملح الصوات ... من قوم مـلاحِ

احمد الله لقد مـات ... غبوقي واصطحابي

كم سرور مات لما ... مات أرباب السماحِ

---

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٥٣ .

(٢) ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٣ ، ص١١٦٠ .

(*) إصويا : أو اصو ومعناها بالنبطية : اسكت ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٥٣ .

(**) النوروز : أو النيروز كلمة فارسية ومعناها : عيد الربيع ، ينظر : العمري ، شهاب الدين احمد ابن يحيى بن فضل الله القرشي (ت٧٤٩هـ) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : احمد زكي وآخرون ، ط١ ، المجمع الثقافي ، (أبو ظبي ،١٩٨٩م) ، ج١٠ ، ص٦٧٢ .

(***) المهرجان : كلمة فارسية واصلها مهرماه ، أي نفس الملك ذهبت ، وتفسير ذلك : أنه اتبع الملك الفارسي " افريدون " الضحاك وأسره واتخذوا ذلك اليوم عيداً وسموه المهرجان ، وزعم البعض أن الضحاك كان في زمن نوح عليه السلام وأرسل إليه ، وكان افريدون من جاء بالفيلة وامتطاها ونتج البغال ، وعالج الترياق ، ينظر : أبو عبيد البكري ، المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت ، ١٩٩٢م) ، ص٨٤ .

(٣) الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٥٣ .

ثالثاً . غُمّا :

بضم أوله وتشديد ثانيه وهي : قرية من نواحي بغداد وعكبرا[١] ، ولغما موضعان منها : غما بفتح الغين وتشديد الميم ، صُقعٌ في البرية بين بالس وحلب ، والأخرى : بالضم كما ذكر ياقوت ، وهي ناحية من سواد العراق[٢] ، وكان والبة بن الحباب[*] الشاعر ماجناً فشرب يوماً بغمى وقال[٣] :

شربت وفاتك مثلي جموح ... بغمى بالكؤوس وبالبواطي

يعاطيني الزجاجة اريحي ... رخيم الدل بورك من معاطي

رابعاً . الرّفيق :

بفتح أولها ، على لفظ المرافق : موضع تلقاء البردان ، وقال بشارُ عنها : لما طلعن من الرّفيق عليَّ في البردان خمساً[٤] .

خامساً . بَلاشكَر :

قرية بين البردان وبغداد[٥] ، ولها ذكر في الشعر والأخبار[٦] ، ولم يذكر لنا ياقوت الحموي غير ذلك .

---

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٠٨ .

(٢) الحازمي ، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمداني زين الدين (ت٥٨٤هـ) ، الأماكن أو ما أتفق لفظه وأفترق مسماه من الأمكنة ، تحقيق : محمد بن حمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، (بلام ، ١٤١٥هـ) ، ص٦٩٢ .

(*) والبة بن الحباب : هو والبة بن الحباب الاسدي ، أستاذ أبي نؤاس ، وكان طريفاً عزلاً وصاقاً للخمر والغلمان والمرد ، وشعره في ذلك مقارب بشاراً وأبا العتاهية ، ينظر : الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارنؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، ٢٠٠٠م) ، ج٢٧ ، ص٢٤٩ .

(٣) الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٠٩ .

(٤) البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢ ، ص٦٦٣ .

(٥) ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ص٢١٥ .

(٦) الحموي ، معجم البلدان ، ص٤٧٧ .

سادساً . بلشكر :

فهي قرية تحت البردان تسمى بلكشر ، والناس يقولون : بنشكر بالنون : من الجانب الشرقي من دجلة مقابل قطربل ، وقطربل من الجانب الغربي[١] ، وقال عنها إبراهيم بن المدبر[*] :

طريق الى قطربل وبلكشر ... وراجعت غيا لست عنه بمقصر

ثم قال البحتري[**] يمدح ابن المدبر فيها[٢] :

وقد سأني أن لم يهج من صبابتي ... سنا البرق في جنح من الليل أخضر

وأني بهجر للحرام وقد بدا ... لي الصبح من قطربل وبلشكر

سابعاً . المزرفة :

بالفتح ثم سكون ، وراء مفتوحة وفاء : قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ[٣] ، من قرى دجيل على الجادة من طسوج قطربل ، وذكرها لسترنج مع بزوغي : بأنها من قرى البردان ، وهما قريتان جليلتا الشأن[٤] ، وأضاف إلينا الحموي : وينسب إليها الرمان المزرفي ، وكان فيها قديماً ، أما اليوم فليس بها بستان البتة ، ولا رمان ولا غيره[٥] .

---

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٨٤ .

(*) إبراهيم بن المدبر : هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ، أبو إسحاق الكاتب ، كان كاتباً وشاعراً مرتحلاً ، ولد سنة (٢١١هـ) ، وتوفي سنة (٢٧٩هـ) ، ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٢٢ ، ص٧٣ .

(**) البحتري : هو الوليد بن عبيد أبو عبادة الطائي ، من أهل منبج فقد ولد فيها ثم رحل الى العراق ، ومدح جعفر المتوكل على الله وخلقاً كثيراً من الأكابر ، وأقام ببغداد دهراً طويلاً ، ثم عاد لبلاده ومات بها ، ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٥ ، ص٦٠٠ .

(٢) الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٨٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢١ .

(٤) لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٧١ .

(٥) الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٢ ؛ ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم (ت٦٩٧هـ) ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية ، (بيروت ، بلات) ، ص١٢ .

ثامناً . بزوغي :

بالفتح وسكون الواو والعين معجمة والف محالة : من قرى بغداد قرب المزرفة ، بينها وبين بغداد نحو فرسخين[١] ، وذكرت في مراصد الاطلاع : أنها فوق المزرفة من دجيل[٢] ، فقد أكثر الشعراء في بغداد بذكرها ، فقال جحظة[٣] :

وردنا بزوغي كأنها ... أهاضيب سود في جوانبها زمر

فقام إلينا البائعون كأنهم .... نجوم تهاون من مطالعها زهر

فمن قائل : عندي شراب معتق ... ومن تائه بالخمر أسكره الفكر

وأنشد جحظة لنفسه في أماليه يذكر بزوغي[٤] :

شبيهك يا مولاي قد حان أن يبدو ... فهل لك أن تغدو وفي الهزم أن تغدو

على قهوة مسكية بابلية ... لها في أعالي الكأس من فرجها عقد

فقد أزعج الناقوس من كان وادعاً ... أهدي إلينا طيب أنفاسه الورد

وهذه بزوغي والغروب وطائر ... على الغصن لا يدري أيندب أم يشدو

أما موضعها فهو غير معلوم ، إلا أنه قد ذكرها ابن سرابيون ، فعين موضعها على نهر دجلة قرب البردان والمزرفة ، على مسافة فرسخين من بغداد ، كما ذكرها لنا ياقوت الحموي ، ونستخلص من ذلك أنها كانت ما بين بغداد والبردان مقابل المزرفة الواقعة على الجهة القريبة للنهر " أي نهر دجلة "[٥] ، وينسب الى بزوغي جماعة منهم : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن حاتم بن اسماعيل البزوغاني ، وهو ابن بنت أبو موسى محمد بن المثنى[٦] ، وقال لسترنج كما ذكرنا سابقاً " بزوغي " و " المزرفة " من قرى البردان[٧] .

---

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤١١ ؛ مجيد ، دراسات في تاريخ ديالى ، ص٤٣٥ .
(٢) ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج١ ، ص١٩٤ .
(٣) الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤١١ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٢٠٩ .
(٥) سوسة ، ري سامراء ، ص٩١ .
(٦) الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤١٢ .
(٧) لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٧١ .

حيث جرت بعض الأحداث في تلك القرية نذكر منها : في سنة (٢٥١هـ) كانت هناك وقعة ليمونة(*) بن قيس مع الأتراك في تلك الناحية ، أي في بزوغي ، فلقيهم هو ومحمد بن أبي عون وغيرهما ، وأسروا منهم سبعة وقتلوا ثلاثة ، ورمى بعضهم بنفسه في الماء فغرق بعضهم ، ونجا منهم البعض الآخر(١) ، أما في سنة (٣٢٦هـ) طلب ملك الروم من الخليفة الراضي الهدنة ، وأرسل إليه كتاباً كان مكتوب باللغة الرومية بالذهب ، والترجمة بالعربية من فضة ، كان هذا حينما خرج الراضي متنزهاً الى أن وصل الى بزوغي ، وأقام يومين هناك ثم رجع(٢) .

تاسعاً . قطربل :

بالضم ثم السكون ثم فتح الراء وباء مشددة مضمومة ولام ، وهي كلمة أعجمية : اسم قرية بين بغداد وعكبرا وينسب إليها الخمر ، كان مجمعاً لأهل القصف والشعر والخلفاء(٣) ، وإليها ينسب الطسوج(**) الذي هي فيه ، فيقال : طسوج قطربل ، بما أنه قد ذكر الحموي في أصل تسميتها فارسية ، ولكن تحدثت أخرى عن أصل تسميتها ترجع الى أصول يونانية وأصل " نقطر بليس " ، نسبة الى سلومنس نقطور (٣١٢-٢٨٠ق.م) ، أو " نقطربل " ثم حذفت النون من أوله تخفيفاً فصارت " قطربل " ، وبهذا

(*) ليمونة بن قيس الشيباني ، وهو أمير على الانبار ، ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٧ ، ص٣٩٠ .

(١) الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر (ت٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، ط٣ ، دار التراث ، (بيروت ، ١٣٨٧هـ) ، ج٥ ، ص٣٨٥ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٣ ، ص٣٧٣ .

(٣) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٣٠ ، ص٢٥٩ .

(**) الطسوج : هي أقل من الكورة والرستاق والاستان ، أي أنها جزء من أجزاء الكورة ، وإن الكورة تشتمل على عدة طياسج ، فهي لفظة فارسية أصلها " تسو " فعربت بقلب التاء طاء وزيادة الجيم في آخرها ، وأكثر ما تستعمل هذه اللفظة في العراق ، وقد قسموه الى ستين طوسجاً ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٨ .

الاسم عرفت في المصادر العربية جميعها ، وهي لا تبعد كثيراً عن مدينة " سلوقية " الواقعة في جنوبها على دجلة[١] .

وقلنا أن قطربل من قرى بغداد ، أي كورة[*] ، وذكرت قطربل كثيراً في الأشعار ، فقال عنها الببغاء[**] يذكرها[٢] :

كم للصبابة والصبا من منزلة ... ما بين كلواذي الى قطربل

جادته من ديم المدام سحابة ... اغنتهه من صوب الحبا المتهلل

وقال ياقوت الحموي : لما أنصرف أبو نؤاس من مصر اجتاز بحمص فرأى كثرة خماريها وشهرة الشراب بها ، فأعجبه ذلك ، فأقام بها مدة ، وكان بها خمارٌ يهودي اسمه " لاوى " وقال لأبي نؤاس : كيف رأيت مدينتنا وحالنا فيها؟ فقال : حدثنا جماعة من رواتنا أن هذه هي الأرض المقدسة التي كتبها الله تعالى لبني إسرائيل ، فقال له الخمار : أيما أفضل عندك هذه الأرض أم قطربل؟ فقال : لولا صفاء شرابها وكوبها دجلة ما كانت إلا بمنزلة حانة من حاناتها[٣] ، وذكر لنا الثعالبي (ت٤٢٩هـ) عن أشعار الحسن بن

---

(١) فرنسيس بشير وعواد كوركيس ، أصول أسماء الأمكنة العراقية ، مجلة سومر ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ج١ ، المجلد الثامن ، (بغداد ، ١٩٥٢م) ، ص٢٧٣ .

(*) كورة : وجمعها كور ، هي مصطلح إداري استخدم في العقد الثالث من القرن الثالث الهجري ، وكان لكل كورة قصبة ، وهي تعد المركز الإداري الذي يقيم فيه الوالي ، ويكون تحت تصرفه مجموعة من الدواوين التي تهم الكورة ، ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٣٣٨ ؛ البياتي ، صدام جاسم محمد ، الحياة الاجتماعية في خراسان من الفتح الإسلامي الى نهاية سنة ٦٥٦هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة ديالى ، ٢٠٠٤م ، ص١١.

(**) الببغاء : هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي من أهل نصيبين ، ينظر : الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت٤٢٩هـ) ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق : مفيد محمد قمحية ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٨٣م) ، ص٢٩٣ .

(٢) الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٧٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٣٧١ .

علي بن وكيع التنيسي ما قاله في فصل الربيع ذاكراً قطربل فقال[١] :

لاتقبلن من الرشيد كلامـه ... وإذا دعاك أخو الغوابة فأقبل
ودع التزمت والتجمل للورى ... فالعيش ليس بطيب بالمتجمل
وأشرب مزعفرة القميص سلامة ... من صبغة البردان أو قطربل
كأس إذا رمت الهموم بسهمها ... لم يخط نافذة سواء المقتل

وتوجد في قطربل قنطرة وكانت تعرف بـ " قنطرة رما أم جعفر " ، وإن الشارع الذي يمر عليها يؤدي الى قطربل ، ومن ثم الى الجسر الذي نصب على نهر دجلة في شمال بغداد ، وكان يعرف بجسر الشماسية[٢] .

عاشراً . المدن المجاورة للبردان :

كانت تحيط بالبردان بعض المدن والقرى ، والتي تذكر معها عادة ، ومن هذه المدن المحاورة عكبرا[*] ، حيث ذكرها مؤلف مجهول مع البردان وقال : بردان وعكبرا : أنهما مدينتان عامرتان في الشمال الشرقي من بغداد ، وهي من المواضع العامرة آنذاك[٣] ، وتبعد المسافة بينهما ، قال لنا العزيزي فيها : بين عكبرا ومدينة البردان أربعة فراسخ[٤] ، وإن تاريخ عكبرا بدأ منذ زمن أواخر العهد الساساني ، وتقع على الضفة الشرقية من

---

(١) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ص٤٦٣ ؛ ينظر : الحصري ، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري أبو إسحاق القيرواني (ت٤٥٣هـ) ، زهر الآداب وثمر الألباب ، دار الجيل ، (بيروت ، بلات) ، ج٢ ، ص٧٥٠ .

(٢) مصطفى جواد واحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد المفصل ، ص٩٨ .

(*) عكبرا : ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ج١ ، ص١٤ ؛ حسن ، أفراح فايق ، علماء عكبرا ومروياتهم التاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة ديالى ، ٢٠١١م .

(٣) مجهول (ت بعد ٣٧٢هـ) ، حدود العالم من المشرق الى المغرب ، تحقيق : السيد يوسف الهاوي ، الدار الثقافية للنشر ، (القاهرة ، ١٤٢٣هـ) ، ص١٦١ .

(٤) العزيزي ، المسالك والممالك ، ص١١٦ .

دجلة على طريق البريد الرئيس من بغداد الى سامراء ثم الى الموصل ومنها الى أقاليم البلاد الشامية[١] .

أما مدينة " أوانا " فهي تقع في الجهة القريبة من دجلة في الجهة المقابلة للبردان ، وأوانا : بالفتح والنون بليدة كثيرة البساتين والشجر نزهة المنظر ، وتعد من نواحي دجيل بغداد ، وتبعد عن بغداد عشرة فراسخ ، وهي من جهة تكريت وكثيراً ما يذكرها الشعراء والخلفاء[٢] ، فإنها تقع عن مسافة قصيرة جنوب مجرى النهر ، وإنها في الأغلب تذكر مع عكبرا لدى المؤرخين البلدانيين كذلك [٣] .

ومدينة الشماسية : فإنها تقع الى الجنوب من البردان ، أي بمعنى بأتجاه بغداد مباشرة ، وهي الأقرب إليها ، والشماسية : بفتح أوله وتشديد ثانيه ثم سين مهملة ، هي منسوبة الى بعض شماسي النصارى ، وتكون مجاورة لدار الروم التي بأعلى مدينة بغداد ، وباب الشماسية هو ينسب إليها[٤] .

والشماسية : لفظة عربية منسوبة الى الشماس ، وهي وظيفة دينية عند النصارى ، وقلنا أن سبب تسميتها يرجع الى توافر الديارات والبيع فيها[٥] ، ويصب في دجلة عند باب الشماسية نهر الخالص من ضمن أقسام مناطق أعلى بغداد الشرقية[٦] ، ولذا يفترض سالمون ، إن باب البردان هي من أحد أبواب الشرقية وهي " باب البردان " ، و " باب الشماسية " ، و " باب خراسان " ، وهذه الأبواب تشمل معظم الجوانب الشرقية لبغداد[٧] .

وقد أنشأ المستضيء مدينة في الشمال الشرقي عند الشماسية وأحاطها بسور بناه سنة (٤٨٨هـ) ، ولكن جاء بعده مسعود السلجوقي وهدمه سنة (٥٢٩هـ) ، وإن المدينة في الجانب الشرقي قد خربت من الشماسية الى المخرم ، ثم بنى سوراً ما حول المدينة

---

(١) لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٩١ .
(٢) الحموي ، معجم البلدان ، ص٢٧٤ .
(٣) لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٩١ .
(٤) الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٦١ .
(٥) مصطفى جواد واحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد المفصل ، ص٣٥ .
(٦) احمد سوسة ، ري سامراء ، ص٣٦٥ .
(٧) ليسنر ، خطط بغداد في العهود العباسية الأولى ، ص١٧٨ .

من الذي قد تبقيت ، وبقيت تلك المدينة على حالها إلا أن قدم المغول سنة (٦٥٦هـ) ، ويقال : أن ذلك السور الذي حول المدينة التي بناها المستضيء قد اسهم في بنائه أهل سوق يحيى[١] ، فهي بذلك تعد من مدن جانب الرصافة ، وقد نشأت معها في نفس المدة مدن أخرى منها محلة المخرم ، ومحلة أبي حنيفة والتي بها قبر الإمام أبي حنيفة[٢] .

إحدى عشرة . الأديرة :

١ . دير ما سرجس :

ويكون هذا الدير بقرب البردان في ظهر قرية يقال لها : " كاذي[*] "[٣] ، وهناك رواية عن هذا الدير لحماد بن إسحاق ، عن عبد الله بن العباس قال : دخلت أنا وأبو النضر البصري[**] مولى بني جمح[***] بيعة ماسرجس ، وقد ركبنا مع المعتصم نتصيد ، فوقفت أنظر الى جارية كنت أهواها ، وجعل هو ينظر الى صورة في البيعة فاستحسنها حتى طال ذلك ثم أنشدني :

---

(١) مقدسي ، جورج ، خطط بغداد في القرن الخامس الهجري ، ترجمة : صالح احمد العلي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، ١٩٨٤م) ، ص٧٤ .

(٢) الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ، دار الرشد للنشر ، (بلام ، ١٩٨٢م) ، ص١٣٨ .

(*) كاذي : أو كاذة بالذال المعجمة ، قرية من قرى بغداد وينسب إليها أبو الحسن إسحاق بن احمد بن محمد بن إبراهيم الكاذي ، وكان ثقة ، توفي في قريته أي كاذي أو كاذة سنة (٣٤٦هـ) ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٢٨ .

(٣) البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢ ، ص٦٠١ .

(**) أبو النضر البصري : هو جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله بن شجاع الازدي ثم العتكي ، ولد سنة عشر ومائة ، السنة التي مات فيها الحسن ، توفي سنة (١٨٨هـ) يوم الأربعاء وهو بعمر الثمانون سنة ، ينظر : العيني ، بدر الدين أبو احمد محمود بن احمد بن حسين الغيتابي الحنفي (ت٨٥٥هـ) ، مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٦م) ، ج١ ، ص٣٧ .

(***) بني جمح : هم بطن من بني هصيص من قريش من العدنانية ، والنسبة اليهم جمحي ، ينظر : القلقشندي ، نهاية الأرب ، ج١ ، ص٢١٨ .

فتنتنا صورة في بيعة ... فتن الله الذي صورها
زادها النقاش في صورتها ... فضل ملح إنه نضّرها
وجهها لاشك عندي فتنةٌ ... وكذا هي عند من أبصرها
أنا للقس عليها حاسد ... ليت غيري عبثاً كسرها

قال : قلت له : شتان ما نحن ، أنا أهوى بشراً وأنت تهوى حجراً! ، فقال لي : هذا عبثٌ وأنت في جدّ ، وغنى عبد الله بن العباس في هذا الشعر غناءً حسناً سمعته منه ، ونسب الناس الشعر إليه لكثرة شعره في امرأة نصرانية كان يهواها[١] .

٢ . دير قوطا :

وهو في البردان ، إذ يعدّ من نواحي بغداد على شاطئ دجلة ، ويكون بين البردان وبغداد[٢] ، وهذا الدير يجمع أحوال كثيرة منها : عمارة البلد ، وكثرة فواكهه ، ووجود كل ما يحتاج إليه فيه من بساتين وكروم وشجر ونخيل ، وفيه الشراب المبذول ، والحانات الكثيرة ، وما يطلبه أهل البطالة والخلاعة من الوجوه الحسان ، والبقاع النزهة الطيبة[٣] ، ولهذا الدير يوم عند النصارى[٤] ، وفيه يقول عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع[٥]:

يا دير قوطا لقد هيجت لي طربا ... أزح عن قلبي الأحزان والكربا
كم ليلة فيك واصلت السرور بها ... لما وصلت لها الأدوار والنخبا
في فتية بذلوا في القصف ما ملكوا ... وأنفقوا في النصابي المال والنشبا
وشادن ما رأت عيني له شبهاً ... في الناس لا عجماً منهم ولا عربا

---

(١) الأصبهاني ، علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي أبو الفرج (ت٣٥٦هـ) ، الديارات ، (بلام ، بلات) ، ص٢٤ .

(٢) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٢٩ .

(٣) الشابشتي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت٣٨٨هـ) ، الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد ، (بغداد ، ١٩٥١م) ، ص١٤ .

(٤) ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص٥٧٢ .

(٥) الحموي ، الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة ، تحقيق : يحيى زكريا ومحمد أديب جمران ، وزارة الثقافة ، (دمشق ، ١٩٩٨م) ، ص٤٧-٤٨ .

٣ . دير سمالو :

ويقع هذا الدير شرق بغداد في رقة باب الشماسية مما يلي قرية البردان ، ويجري فيه نهر المهدي ، ومن حوله بساتين وأشجار ، وهو موضع نزه وحسن العمارة ، آهل ببطارقيه ورهبانه[١] ، وإن تسميته كانت قبلاً " صمالو " ، ففي خلافة الرشيد ذكر أنه غزا أهل صمالو فسألوا الأمان لعشرة أبيات من القومس[*] وألا يفرق بينهم ، فأجابهم لذلك ، ثم أنزلهم بباب الشماسية وبنوا هذا الدير ، فإنه كان مشيد البناء وكثير الرهبان ، ولكن خرب بعد ذلك ولم يبقَ له أثراً[٢] ، وذكر في ذلك الدير أبو بكر حمد بن عمر رواية عن قصة شاب وسيم كان يهوى مغنية قال: كنت جالساً تحت ظل شجرة بقرب الدير ومر عليَّ شاب وجهه كالقمر وسألني عن مغنية مع الأتراك ، وقلت : رأيتهم ، ففزع بذلك وعلمت أنه قد هواها ، وإنها قد تركته وخالفته وذهبت مع الأتراك ، وصرت أشجعه وأربط من جأشه ثم رجعنا ولما صرنا عند بستان أخذ خرقة فكتب على حائط اجتزنا به :

أين تلك العهود يا غدارة ... والكلام الرقيق تحت المنارة

قد علمنا بأنه كان زوراً ... واختلاقاً ونغشة وعبارة

فأجهدي الجهد كله قد سلونا ... عن هواكم ولو بشق المرارة

وأنه قد عرفها في الجامع ، وقد استحلفت تحت المنارة أن لا تواصل غيره ، ولكنها اغتنمت غيبتي وفعلت ما فعلت ، وحتى لقيتني فرددتني ، فجزاك الله ، وافترقنا بعد أن عرفت منزله وصار لي صديقاً[٣] .

---

(١) الحموي ، الخزل والدأل ، ص٣٧ .

(*) القومس : هي كلمة رومية معربة ، ويقال : إن القومس يكون تحت يده نيف وثلاثون رجلاً ، وتطلق تلك التسمية على الأمير من الروم ، ينظر : الصفدي ، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ، تحقيق : السيد الشرقاوي ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص٤٢٩ .

(٢) ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص٥٦٣ .

(٣) الاصبهاني ، الديارات ، ج١ ، ص١٥ .

٤ . دير سابر :

وهذا الدير موضعه في قرية بزوغي التي هي من إحدى قرى البردان ، وقال عنه ياقوت الحموي : دير سابر قرب بغداد بين قرية يقال لها : المزرفة وأخرى يقال لها " الصالحية[*] ، وفي الجانب الغربي من دجلة قرية يقال لها : بزوغي[١] ، وهي عامرة ، نزهة ، كثيرة البساتين والفواكه والكروم والخمارين ، ومعمورة بأهل الشرب والطرب ، وهي موطن من مواطن الخلعاء[٢] ، وذكر لنا الحسين بن الضحاك[**] في شعره عنه فقال[٣]:

أخرجتهنَّ من الخدور حواسراً ... وتركت صوت عفافهنَّ صباحاً

في دير سابر والصباح يلوح لي ... فجمعت بدراً والصباح وراحا

ففعلت ما فعلا لمشوق بليلة ... عادت لذاتها على صباحا

فأذهبت بزعمك كيف شئت فكله ... مما اقترفت بكرا وحجا

وكان في البردان قنطرتها المشهورة والتي أصبحت الدالة إليها في كتب المؤرخين والبلدانيون ، وبهذا فإن أكثر العلماء الذين ينتسبون للبردان قد تسموا بالقنطري نسبة إليها ، ولهذا الموضع ينسب الكثير إليها مثل : الفضل العباس ابن الحسين أحد شيوخ البخاري[٤] ، يروي عن مبشر بن إسماعيل ، ويحيى بن آدم وغيرهما[٥] .

(*) الصالحية : محلة ببغداد تنسب الى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٩٠ .

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥١٣ ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص٥٦٣ .

(٢) الشابشتي ، الديارات ، ج١ ، ص١٢ .

(**) الحسين بن الضحاك بن ياسر أبو علي البصري الشاعر المعروف بالخليع ، خراساني بالأصل ، وأقام ببغداد ينادم الخلفاء دهراً طويلاً ، وله أخبار مع أبي نؤاس ، ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٨ ، ص٥٩٥ .

(٣) الحموي ، الخزل والذأل ، ص٣٦١ .

(٤) البكري ، معجم ما استعجم ، ج١ ، ص٢٤٠ .

(٥) ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج٣ ، ص٦٠ .

وبهذه المحلة جماعة من المحدثين منهم : الحكم بن موسى[١] ، وأما عن بناء تلك القنطرة ، فقد بناها السري بن الحطم الذي تنسب إليه الحطيمة[*] في بغداد[٢] ، وهناك روايات عن السري بن الحطم ، فقال الخطيب البغدادي ، عن أبي سعد ، عن أبيه قال : سمعت السري بن الحطم ، وأظنه من بجيلة يزعم أن المنصور كان قد ابتاع منه ما بين قنطرة البردان الى الجسر ، وأنه لم يقبض ثمن ذلك منه ، وأن حد أرضه من الجسر حتى ينتهي الى قرية تعرف " بالاثلة[**] " على فرسخ من الجانب الشرقي ، وأما منزله بالحطيمة على ميلين من بغداد ، ورفع ذلك الى الرشيد والى المأمون فلم يعطياه[٣] ، وكذلك رواية عنه ، فقد أورد الخطيب البغدادي أيضاً : أنه قد اشترى أبو النضر[***] هاشم بن القاسم موضع داره من السري بن الحطم ، وكان يقال : ليس في ذلك الشارع اصح من دار أبي النضر[٤] .

وقد فتحت البردان في زمن الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ على يد قائد الجيوش العربية الإسلامية خالد بن الوليد[٥] ، وعندما كان في عين التمر[****] وجه النسير بن

---

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٠٥ .

(*) الحطيمة : وتعني في اللغة الدروع الثقيلة العريضة ، لأنها تكسر السيوف ، والحطيمة قرية على بعد فرسخ من بغداد من الجانب الشرقي من نواحي الخالص ، منسوبة الى السري بن الحطم ، وهو يعد من أحد القواد ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٧٣ .

(٢) البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت ، ١٩٨٨م) ، ص٢٨٩ ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٣ ، ص١١٢٦ .

(**) الأثلة : قرية من الجانب الغربي من بغداد على فرسخ واحد ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٩١ .

(٣) الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣١٧ .

(***) أبو النضر : هو إبراهيم بن يوسف بن سواء بن عبيد بن هبة الله السلمي البلوي المصري ، ينظر: ابن ناصر الدين ، توضيح المشتبه ، ج١ ، ص٥٥٦ .

(٤) الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٠٩ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٢٤٥ .

(****) عين تمر : حصن بالعراق افتتحه خالد بن الوليد في حروب التحرير ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٢٣ .

ديسم بن ثور(*) قد أتى عكبرا فأحسن لأهلها وأخرجوا له طعاماً وعلفاً(١) ، ومن ثم مر بالبردان ، فأقبل أمامنا وبعدها المخرم(**) وبقية الفتح(٢) .

والسنة التي تم بها فتح البردان (١٢هـ) حينما تم لخالد بن الوليد من تحقيق الانتصار في معركة عين تمر ، وتمكن من اقتحام الحصن واستسلم من به كان في ١١ رجب في ١٢هـ(٣) ، وخلال تلك الفتوحات الإسلامية العظيمة التي قام بها خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ له تأثيراً كبيراً على بغداد من حيث استيطانها من العرب وإنشاء الأسواق الشهيرة على الضفة الغربية من دجلة آنذاك(٤) ، ويبدو من خلال ذلك فقد كان البردان تسكنها ثلاثة عناصر سكانية قبل الفتح الإسلامي هم : الفرس ، والعرب ، ومنهم من اعتنق النصرانية .

(*) النسير بن ديسم بن ثور بن عريجة بن محلم بن هلال بن ربيعة ، من بني عجل بن لجيم ، وهو قائد إسلامي فاتح ينسب إليه " قلعة النسير " ، وقد أدرك الرسول ﷺ وشهد الفتوح في عهد الخليفة عمر ﷺ ومنها القادسية ، ينظر : ابن ماكولا ، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر (ت٤٧٥هـ) ، الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م) ، ج١ ، ص٣٠٢ .

(١) افراح حسن ، علماء عكبرا ، ص١٠ .

(**) المخرم : بالضم ثم الفتح وكسر الراء مع تشديدها ، محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر معلى ، وفيها كانت الدار التي تسكنها السلاطين خلف الجامع المعروف بجامع السلطان وخربها الناصر ، وهي منسوبة الى مخرم بن زيد بن شريح ، وأنه كان له إقطاعاً من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ، ص١١٩٥ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٧١ ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٣ ، ص١٢٣٩ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٦ .

(٣) طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الخلفاء الراشدين ، ط١ ، دار النفائس ، (بيروت ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، ص١٤١ .

(٤) آدمز ، أطراف بغداد ، ص٢٨٦ .

وتتصف البردان بكثرة خيراتها ووفرتها ، وتتوافر بينها وبين بغداد بساتين متصلة ومنتزهات متتابعة فيها كروم ، وشجر ، ونخل ، وإن البردان من الأماكن النزهة والحسنة الموصوفة[١] ، واتصفت بجمالها ولطافتها وتنسب إليها الخمرة الجيدة[٢] .

وبما تتمتع به البردان فإنها كانت موضعاً للصيد ، لكثرة المزارع والبساتين ، وبذلك ذكر ابن معين عن رواية للدوري قال : سأل يحيى عن الرجل الذي ينصب الشرك بباب خراسان[*] وباب البردان ، فتقع فيه الطيور الاهلية والفواخت ، قال : لا بأس بها ما وضع في شرك ، ولكن أكره صيد الحمام في الأمصار ، فقال : لا بأس أن لم تكن تعلم لجارك ، قلت : والذين يصيدون بالليل بالنار ، قال : لا بأس بصيد الليل أيضاً[٣] .

وشهدت البردان هروب عبد الله بن المعتز ، ذكر العسكري قائلاً : لما تولي المقتدر الخلافة عقب وفاة المكتفي ، كان في صباه لم يبلغ ، لكنه خلع اثر قتل طائفة من الجند من قبل العباس بن الحسن الذي هو قد ولاه الخلافة ، وبويع لعبد الله المعتز في الخلافة ، واستوزره محمد بن داود بن الجراح[**] ولكنه في الغد انهزم ، وخرج هارباً الى البردان ، ومن ثم خروج الأتراك عليه وحدث العامة بالضجيج ، وبعد هروبه جلس بزورق صياد وعاد لبغداد ثم دخل دار المقتدر[٤] .

---

(١) الحموي ، الخوال والذأل ، ص٤٧ .

(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، ص٢٤ .

(*) باب خراسان : وكانت تسمى باب الدولة ، وهي إحدى الأبواب الأربعة لبغداد ، وهي الباب التي يتجه الى ديالى الباقية الى اليوم ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ج١ ، ص٥٢٩ .

(٣) ابن معين ، أبو زكريا يحيى بن عوف بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء البغدادي (ت٢٣٣هـ) ، تاريخ ابن معين ، تحقيق : احمد محمد نور سيف ، ط١ ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، (مكة المكرمة ، ١٩٧٩م) ، ج٣ ، ص١٢٥ .

(**) محمد بن الجراح : هو ابو عبد الله الكاتب ، وعم علي بن عيسى الوزير ، وكان من علماء الكتاب ، فاضلاً وعارفاً بايام الناس واخبار الخلفاء والوزراء ، ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص١٥٦ .

(٤) العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت٣٩٥هـ) ، الأوائل ، ط١ ، (طنطا ، ١٤٠٨هـ) ، ج١ ، ص٣٨٩ .

وتم تشييع جنازة العباس البرمكي في البردان وقال الأصفهاني : في يوم الجمعة أخرجت جنازته مع العصر ، وحضر التشييع الرشيد ، والأمين في مقابر البرامكة بباب البردان وصلى عليه الرشيد ، وظل واقفاً حتى دفن ، فلما خرج يحيى ومحمد أخواه من القبر قبلا يد الرشيد وسألاه الانصراف ، فقال : لا! حتى يسوي عليه التراب ، ولم يزل الأمر حتى فرغ من أمره ، فعزاهما وأمرهما بالركوب[١] .

وعن رواية أبي سعد الآبي قال : استعرض يوماً المعلي بن أيوب[*] الجند ، فقال لواحد : ما أسمك؟ قال : برادة ، قال : ابن من؟ ، قال : ابن بريد ، قال : وممن أنت؟ ، قال : من البردان ، قال : وأين منزلك؟ ، قال : في درب الثلج ، وصاح المعلي يا غلام دواج[**] وبرجد[***] والله كزُزنا[٢] ، كان هذا من الطرائف ما حدث عن البردان.

ذكر التنوخي برواية ليحيى بن خاقان يذكر فيها قصة يحيى بن خالد مع ابن أبي خالد الوزير ، حدثت عند قنطرة البردان وقال : توالت عليَّ المحن يوماً وكانت العطلة قد بلغت مني ومن أبي ، وبات صبيانه بأسوأ حال ، وما لدابته علف ، فقرح قلبي ثم أخرجت منديلاً طبرياً قد أهداه إليَّ أحد البزازين ، وأرسله بيد الغلام لبيعه فقال : أعطاني رجل بالمنديل اثنتي عشر درهماً القيته عند البقال الذي يعاملنا ، فباعه بشرط أن أخرج المنديل الى سوق قنطرة البردان ، فأمرته بإمضاء البيع واشترى ما يحتاج إليه لصبيانه

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٦ ، ص٢٦٣ .

(*) المعلي بن أيوب : هو أبو العلاء الكاتب ، ابن خالة الفضل والحسن ابني سهل وهم كتاب المأمون ، قدم دمشق مع المأمون ، ومات يوم الخميس لست خلونَّ من شهر ربيع الآخر سنة خمس ومائتين ، وكان موصوفاً بالعفة والكفاية ، ينظر : ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ) ، تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، ١٩٩٥م) ، ج٥٩ ، ص٣٧٥ .

(**) دواج : وجاء بمعنى نعمة داجية سابغة ، ينظر : ابراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج١ ، ص٢٧٢ .

(***) برجد : كساء صوف احمر ، والبرجد بمعنى كساء ضخم فيه خطوط يصلح للخباء وغيره ، ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج١١ ، ص١٧٠ .

(٢) الآبي ، منصور بن الحسين الرازي أبو سعد (ت٤٢١هـ) ، نثر الدر في المحاضرات ، تحقيق : خالد عبد الغني محفوظ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٤م) ، ج٧ ، ص١٠٥ .

وعلفاً للدابة ، ثم خرجت ولا أدري الى أين أقصد ، وأنا في الشارع لقيت ابن أبي خالد ، وطلبت السؤال منه ، لكن مضى ولم يقل حرفاً لي ، فانصرفت منكسراً البال منكراً على نفسي في الشكوى ، وفي اليوم التالي أخذت أحد أثوابي لبيعها ، واليوم الثالث ونحن في غاية الضيق ، وفي اليوم الرابع ركبت لا أدري الى أين أقصد ، ولما صرت الى قنطرة البردان لقيني رسول – ابن أبي خالد – يطلبني داره ، ولما وصلت قال : يا ابن أخي شكوت إليَّ بالأمس شكوى ، لم يكن في جوابها إلا الفعل ، وأمر بإحضار " صميد " و " داهر " تاجرين كانا يبيعان الطعام ، وقال لهما : إني بعتكما البارحة ثلاثين ألف " كرّ " على ابن أخي هذا شريككما فيها بالسعر ، وبعد ذلك أخذ في هذا عشرة ألاف كر بالسعر ، فدفعا إليه ثلاثين ألف دينار[١] .

وقد مر المجاز[*] في قنطرة البردان يوماً والتقى بنجاد وهو طويل اللحية وامرأة تطالبه بشيء لها عنده ويقول[٢] : رحمك الله متاعك جاف ويحتاج الى حشو كثير[٣] ، وفي القصة نفسها ذكر ابن الجوزي قائلاً : قال الجاحظ[**] : مررت بمنجد في قنطرة بردان طويل اللحية وامرأة تطالبه بشيء ، وهو يقول : رحمك الله متاعك جاءني يحتاج الى حشو كثير وأنت من العجلة تمشين على أربع[٤] ، ويتبين من ذلك إن ما قصده الجاحظ بـ " منجد " نفس الذي تكلمنا عنه " نجاد " من خلال تطابق الرواية .

---

(١) التنوخي ، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم البصري أبو علي (ت٣٨٤هـ) ، الفرج بعد الشدة ، تحقيق : عبود الشالجي ، دار صادر ، (بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ، ج٣ ، ص٢٤٤ .

(*) المجاز : هو رجلٌ من موالي قريش يكنى أبا عبد الله ، من ساكني البصرة ، ولقب بالبصري ، وكان شاعراً مقلقاً مفوهاً مطبوعاً ، ينظر : ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ص٣٧١ .

(٢) التوحيدي ، علي بن العباس أبو حيان (ت٤٠٠هـ) ، البصائر والذخائر ، تحقيق : وداد القاضي ، ط١ ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٨٨م) ، ج٤ ، ص٣٨ .

(٣) الآبي ، نثر الدر في المحاضرات ، ج٣ ، ص١٧٣ .

(**) الجاحظ : عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان ، المصنف الحسن الكلام البديع التصانيف كان من أهل البصرة ، وكان تلميذ أبي إسحاق النظام ، مات الجاحظ في محرم سنة خمس وخمسين ومائتين ، ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٤ ، ص١٢٤ .

(٤) ابن الجوزي ، الحمقى والمغفلين ، شرح : عبد الأمير مهنا ، ط١ ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٩٠م) ، ص١٨٦ .

الأحداث التي شهدتها بردان :

قبل أن نستعرض الأحداث التاريخية التي حدثت في البردان وقد مرت بها ، أردنا أن : نذكر في البداية وقعة كانت في زمن عرب الجاهلية قبل الإسلام ، ولكن لم تذكر كتب التاريخ ، وكتب البلدان ، الموضع التي وقعت بها تحديداً ، وكذلك عن سنة حدوثها بالتحديد أيضاً ، وسميت تلك الوقعة أو المعركة بـ" يوم البردان "[١] ، وإن العرب في أيام الجاهلية كانت تحدث معاركهم آنذاك على نوعين هما " الإغارة كما حدث في يوم الهباءة[*] ، ونوعها الثاني : الحروب المنظمة وتكون ذلك الأسلوب الجديد لديهم بعد أن أتصل العرب بالفرس من أهل الحيرة ومع البيزنطيين كالغساسنة وأمثال تلك المعارك المنظمة منها : " يوم حليمة[**] " و " يوم البردان "[٢] ، كان ذلك في زمن القحطانيين ما بين زياد بن الهبولة ملك الشام ، وبين حجراً آكل المرار[٣] .

وحينما علم زياد بن الهبولة أن حجراً سار بقبائل ربيعة لغزو البحرين ، فإنه أغار على قبيلة كندة واستولى على الأموال وقتل الرجال وسبى النساء ومن بينهم هنداً زوج حجر نفسه ، فعاد حجرٌ من غزوه مسرعاً بعدما علم بالأمر ، وأدرك قوم زياد بـ" البردان " فانهزم أتباعه ثم أسره وقتله[٤] ، والملاحظ هنا بحسب ما أشار إليه المؤلف جمال محفوظ ، أن في الحروب المنظمة نسبياً ما أظهر العرب في الجاهلية خبرتهم بتلك

---

(١) القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، ط٢ ، دار الكتاب اللبنانيين ، (بيروت ، ١٩٨٠م) ، ج١ ، ص٤٠٥ .

(*) يوم الهباءة : وهي الحرب التي حدثت ما بين القبائل العربية في أيام الجاهلية بين قبيلة عبس وفزارة ، ومغزاها كانت ثأراً لبني بدر ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، ١٩٩٧م) ، ج١ ، ص٥٢٠ .

(**) يوم حليمة : وهي الوقعة التي حدثت بين المنذر بن ماء السماء والحارث بن أبي شمر الغساني ، وقتل بها المنذر ، وقد ظهرت بها النجوم في النهار من شدة العجاج ، وسميت بتلك التسمية نسبة الى حليمة ، وهي بنت الملك جبلة بن النعمان ، ينظر : الأندلسي ابن سعيد (بلا وفاة) ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق : نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، (عمان ، بلات) ، ص٢٠٣.

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٤٥٨ .

(٣) على ، جواد (ت١٤٠٨هـ) ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٤ ، دار الساقي ، (بلام ، ٢٠٠١م) ، ج٦ ، ص١٣ .

(٤) جواد علي ، المفصل ، ج٦ ، ص٨٣ .

المعارك كما في يومي " حليمة " و " البردان "[١]. كانت البردان إحدى المدن التي مرّ بها قحطبة في أثناء حربه مع ابن هبيرة سنة (١٣٢هـ) ، فقد زحف قحطبة من حلوان [*] وقصر شيرين[**] الى خانقين[***] ، وأنه كان قاصداً المدائن [****] ، وبلغ ذلك ابن هبيرة حينها ، فتقدم وعسكر بموضع له من جلولاء في حين كان قحطبة نازلاً في خانقين ، فنزل ابن هبيرة الى الدسكرة[*****] لمواجهته ، وأما قحطبة فإنه جهز القوة حتى وصل جلولاء عند معسكر ابن هبيرة ، فحرق ما ثقل عليه وحمل ما خف عليه الى عسكره ، وتحصنوا بذلك جنود هبيرة الى الدسكرة ، وتقدم قحطبة الى دجلة وهو يريد الوصول الى المدائن ، ووجد الهمدانيين هناك وقد هيؤوا له السفن ، ثم عبر الى أوانا ، ولكن حينما علم ابن هبيرة بذلك عبر الى جسر المدائن ، ثم وجه ابنه داود فنزل البردان وبذلك أراد ابن هبيرة لقاء قحطبة قبل ان يعبر الفرات ، وحينما أتت الأخبار لقحطبة مضى مسرعاً

---

(١) محفوظ ، جمال ، فن الحرب عند الجاهلية والإسلام ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بلام ، ١٩٨٧م) ، ص٧ .

(*) حلوان : إحدى المدن في أطراف العراق من الشرق ، وسميت بحلوان نسبة الى حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، كان بعض الملوك أقطعه إياها فسميت باسمه ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٩٠ .

(**) قصر شيرين : وسيرين معناه الحلو بالفارسية ، وهو قرب قرمسيس بين حلوان وهمذان ، ويرجع بناؤه الى " ابرويز " الملك الفارسي ، وهو من أحد عجائب الدنيا ، ينظر : ابن الفقيه ، البلدان ، ص٤٤٧ .

(***) خانقين : بلدة من العراق على طريق همذان بينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ ، وبها عين للنفط وقنطرة عظيمة ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج١ ، ص٤٤٧ .

(****) المدائن : هي جمع مدينة ، فقد وردت في المعاجم اللغوية أنها مشتقة من المدن ، وتعني الحصن ، ينظر : الفيروز آبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ) ، القاموس المحيط ، تحقيق : مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ، ط٨ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، ٢٠٠٥م) ، ج١ ، ص١٥٩٢ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج١ ، ص٨١٧٣ ؛ مجيد ، دراسات في تاريخ ديالى ، ص٢٩٤ ؛ دان ، محمد عيان ، علماء المدائن ومروياتهم التاريخية من القرن الأول الهجري حتى سنة ٦٥٦هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة ديالى ، ٢٠٠٦م ، ص٢١٣ .

(*****) الدسكرة : قرية على طريق خراسان بغرب شهربان ، تسمى " دسكرة الملك " ، لأن هرمز بن ازدشير كان يكثر المقام بها ، وبها آثار للفرس ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص٥٢٧ .

نحو الانبار وعسكر هناك في غرب الفرات ، بينما عسكر ابن هبيرة بحذائه[١].

وذكر الطبري في أحداث سنة (١٥٠هـ) التي شهدت عليها البردان ، وكان محاربة خازم بن خزيمة أستاذ سيس ، إذ وجه المنصور وهو بالبردان خازماً بن خزيمة الى المهدي ، ومن ثم ولاه المهدي محاربة أستاذ سيس ، وضم القواد إليه ، وإن أستاذ سيس من أهل هراة[*] من عامة خراسان ، وقد خرج حتى التقوا هم وأهل مرو الروذ ، فخرج إليهم الأجشم المروزي فقاتلوه قتالاً شديداً حتى قتل ، وكثر القتل في أهل مرو الروذ وهزم عدداً من القواد ومنهم معاذ بن مسلم بن معاذ ، وجبرائيل ابن يحيى[٢] .

وجراء تلك الأحداث تمكن خازم من التغلب فطعنهم بالنشاب ، وخرج عليهم نهار معين ، ووضعوا فيهم السيوف فقتلهم المسلمون وأكثروا منهم في القتل على نحو سبعين ألفاً ، وأسروا أربعة عشر ألفاً ، ولجأ حينها أستاذ سيس الى جبل مع بعض أصحابه ، وضرب خازم أعناق الأسرى الأربعة عشر ألفاً ، وسار حتى نزل في الجبل الذي كان قد لجأ إليه أستاذ سيس[٣] ، فحاصره مدة وتمكن من بعدها أن يقيده هو وأولاده وأطلق أصحابه وكانوا ثلاثين ألفاً[٤] ، وكسا كل رجل ثوبين وكتب حينها خازم الى المهدي بما افتتح الله عليه ، ثم كتب المهدي الى أمير المؤمنين المنصور بذلك[٥] .

ومن الأحداث الأخرى التي شهدتها البردان كانت في سنة (١٥٩هـ) ، إذ ذكر الطبري (ت٣١٠هـ) في حديثه عن غزوة العباس بن محمد " الصائفة " ، فضم المهدي

---

(١) مجهول (ت ق ٣هـ) ، أخبار الدولة العباسية ، تحقيق : عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة ، (بيروت ، بلات) ، ص٣٦٦ .

(*) هراة : وهي من الإقليم الخامس ، وتعد من أكبر مدن خراسان ، وهي عامرة واصلها من أحسن الناس وجوهاً ، وافتتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان بن عفان ﷺ ، وسكنها أشراف من العجم ، وبها قوم من العرب ، ينظر : المنجم ، إسحاق بن الحسين (ت ق٤هـ) ، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، ط١ ، عالم الكتب ، (بيروت ، ١٤٠٨هـ) ، ص٧٧.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣١ .

(٤) ابن العماد ، عبد الحي بن احمد العبري الدمشقي (ت١٠٨٩هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، بلات) ، ج١ ، ص٢٢ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٣٢ .

إليه جماعة من قواد أهل خراسان وغيرهم ، وخرج المهدي وعسكر بالبردان[١] ، أي أنه خرج من بغداد وعسكر بالبردان ، وجهز جيوشه الى الصائفة ، وهنا ساروا الى الروم حتى بلغوا أنقرة ، ثم فتحوا مدينة يقال لها : المطمورة ، وعادوا سالمين غانمين[٢] .

وشهدت البردان في سنة (١٦٣هـ) أحداثاً ذكرها الطبري ، إذ ذكر عن غزو الروم ، وفي تلك السنة قطع البعوث على جميع الأجناد من أهل خراسان وغيرهم ، وخرج فعسكر بالبردان وأقام فيها بنحو شهرين يتعبأ بها ويتهيأ ويعطي الجنود[٣] ، خرج المهدي من البردان الى الصائفة وخلف بعده بمدينة السلام ابنه موسى وكاتبه أبان بن صدقة ، وعلى حرسه علي بن عيسى[*] ، وعلى شرطته عبد الله بن خازم[٤] ، واستصحب معه ابنه هارون الرشيد وسار الى الموصل والجزيرة[٥] ، ولما وصل المهدي الى حلب بلغه أن في تلك الناحية زنادقة فجمعهم وحرقهم[٦] ، وسار من بعدها الى جيجان[**] ، ثم تجهز ابنه هارون للغزو فتغلغل في بلاد الروم ، وفتح فتوحات كثيرة ، ثم عاد سالماً منصوراً[٧] ،

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص١١٦ .

(٢) ابن تغري بردي ، يوسف بن عبد الله الطاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين (ت٨٧٤هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب ، (مصر ، ١٩٦٣م) ، ج٢ ، ص٣٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص١٤٤ .

(*) علي بن عيسى : هو علي بن عبد الله ، كان من اهل المعرفة في علوم الفقه والقرآن والنحو واللغة والمعتزلة ، ولد سنة (٢٩٦هـ) ، وتوفي سنة (٣٨٤هـ) ، ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٢ ، ص١٤-١٦ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص٢٦٣ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢٣٢ .

(٦) أبو الفداء ، الملك المؤيد صاحب حماه (ت٧٣٢هـ) ، المختصر في أخبار البشر ، ط١ ، المطبعة الحسينية المصرية ، (بلام ، بلات) ، ج٢ ، ص٩ .

(**) جيجان ، وهو نهر محيط في مدينة البستان في ناحية أقسوس شمالي مرعش بحلب ، ينظر : الغزي ، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي ، (ت١٣١٥هـ) ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ط٢ ، دار القلم ، (حلب ، ١٤١٩هـ) ، ج١ ، ص٤٤٩ .

(٧) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج١ ، ص٣٤٦ .

وممن كانوا قواداً بتلك الغزوة منهم : الحسن بن قحطبة ، والربيع الحاجب ، وخالد بن برمك[*] وهو بمثابة الوزير للرشيد ولي العهد ، وعيسى بن خالد وهو كاتبه ووالي نفقاته ، وبعد الانتصار الذي حققه المهدي في بلاد الروم فقد رجع الى الشام وزار بيت المقدس ، وبتلك الغزوة غنم المسلمون أموالاً جزيلة وكثيرة جداً ، وكان لخالد بن برمك الأثر الفعال بالمعركة عن غيره ، وبعثوا بتلك البشارة مع سليمان بن برمك الى المهدي ، فأكرم المهدي خالداً وأجزل عطاءه[١] .

وعن حديثنا عن غزو المهدي الروم فقد شهدت السنة نفسها (١٦٣هـ) وفاة عيسى بن علي[**] ، وكان عمره ثمان وسبعين سنة بحسب رواية ذكرها ابن الجوزي[٢] ، بينما قال اليعقوبي : إن سنة وفاته عام (١٦٣هـ) ، حيث أن بتلك السنة كما قلنا قد خرج المهدي للشام وعسكر بالبردان ، فأتاه خبر وفاة عيسى فرحل الى بغداد ومشى في جنازته ثم رجع الى عسكره[٣] .

أما في أحداث سنة (١٨٠هـ) ، عزل الرشيد جعفر بن يحيى[***] ، ذكر لنا الطبري (ت٣١٠هـ) : في تلك السنة شخص الرشيد من مدينة السلام مريداً الرقة على طريق الموصل ، ولما نزل بالبردان ولّى عيسى بن جعفر على خراسان وعزل عنها جعفر بن

(*) خالد بن برمك : هو أبو العباس جد البرامكة وصدر معظم ، ووزر في أول الدولة العباسية للسفاح ولأبنه إبراهيم بن السفاح ، ثم وزر المنصور لنحو سنتين ، وعزله المنصور من بعدها ، وقيل : أنه قام بتخطيط بغداد ، واستلم أمر ديوان الخراج في الدولة ، ينظر : الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، ١٩٩٣م) ، ج١٠ ، ص١٦٠ .

(١) ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، (بلام ، ١٩٨٨م) ، ج١٠ ، ص١٥٥ .

(**) عيسى بن علي : أبو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، عم السفاح والمنصور ، وإليه ينسب ببغداد قصر عيسى وقطيعة عيسى ونهر عيسى ، ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٢ ، ص٤٦٧ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص٢٦٨ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، بريل ، (ليدن ، ١٨٦٠م) ، ج١ ، ص٢٧٢ .

(***) جعفر بن يحيى : جعفر بن يحيى بن خالد أبو الفضل البرمكي ، كان كبيراً في القدر ، ونفاذاً في الامر وفصاحة والبلاغة ، وكان له جلالة المنزلة عند هارون الرشيد ، ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد وذيوله ، ج٧ ، ص١٦٤ .

يحيى ، وكانت ولايته آنذاك عشرين ليلة فقط[١] ، وبعد تولي جعفر الحرس ، وبتلك الأحداث قام الرشيد بهدم سور الموصل بسبب الخوارج الذين ظهروا فيها ، ونزل الرقة وأتخذها وطناً له هناك[٢] .

وفي السنة نفسها أي (١٨٠هـ) ، مر بالبردان جراشة بن شيبان يريد هيت بعد قدومه من شهرروز ومعه ستون رجلاً وبات هناك عند يحيى بن النظر ، ثم عبر الى دجلة ثم الى الانبار وبقي فيها ثمانية عشر يوماً ، ورحل بعدها الى القادسية ، وأتبعه بمسيرته هذه إبراهيم بن جبريل الى أن وصل الى عين تمر ، ثم نزل وادي البردان ، ثم ذهب الى هيت واتبعه إبراهيم الى هناك ولكنه أضلّ الطريق ، وصار هناك عن بعد ثمانية عشر فرسخاً[٣] ، إلى أن تمكن مسلم بن بكار بن مسلم من قتله وهو نائم ومعه ثلاثة عشر من أصحابه ، وثم بلغ ذلك إبراهيم حيث رجع بعدها الى هيت[٤] .

وخرج أيضاً هرثمة[*] ، ومراغمته للفضل بن سهل الوزير[**] في سنة (١٨٠هـ) ويذكر ابن مسكويه (ت٤٢١هـ): حينما فرغ هرثمة من أمر أبي السرايا[***] أقام في معسكره أياماً ، ثم أتى نهر صرصر ، وخرج الى عقرقوف ، ثم أتى البردان ثم الى النهروان ، حتى أن وصل لخراسان ، وهنا بعث إليه المأمون بالعودة الى الشام والحجاز ، فأبى وقال : " لا أرجع حتى ألقى أمير المؤمنين " ، ذلك ليعلم المأمون وما يدبر له الفضل بن سهل وما يكتم عنه من الأخبار ، وإن يرده الى بغداد ، وحيثما علم الفضل ما يريد ، قال للمأمون : " إن هرثمة قد انغل عليك العباد والبلاد ، وظاهر عليك عدوك ، وعادى وليك ، ولقد دس أبي السرايا حتى عمل ما عمل ، ولو شاء هرثمة ألا يفعل ذلك أبو السرايا ما فعله "[٥] ، وبها كتب المأمون الكتب العديدة إليه أن يرجع للشام والحجاز ، فأبى ورجع الى باب أمير المؤمنين عاصياً مشاقاً

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٢٦٦ .
(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٤٧ .
(٣) ابن خياط ، خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، ط٢ ، دار القلم ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٣٩٧هـ) ، ص٤٤٥ ، ٥٥٦ .
(٤) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١١ ، ص٢٦ .
(*) هرثمة : كان من كبار القادة في زمن الرشيد والمأمون ، وقتله المأمون سنة (٢٠٠هـ) ، ينظر : القفطي ، أنباه الرواة ، ج٣ ، ص١٣ .
(**) الفضل بن سهل : ينظر ترجمته في الفصل الثاني ، ص١٠١-١٠٢ ، برقم : ٦٤ .
(***) ابن أبي السرايا : وهو أحد الأمراء العلويين الذين من خرجوا ثائرين على الخلافة العباسية ، إلا أن تمكن المأمون من الظفر به وحمل إليه رأسه سنة (٢٠٠هـ) ، ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٤٨٨ .
(١) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٤ ، ص١٢٢ .

ويظهر القول الغليظ ، واشرب بذلك ... قلب المأمون وغضبه ، ولما دخل هرثمة الى المأمون بعد أن وصل وقال له المأمون[١] : " يا هرثمة مالأت أهل الكوفة والعلويين ، وداهنت ودست الى أبي السرايا حتى خلع وعمل ماعمل ، وكان رجلاً من أصحابك ... " ، فأراد هرثمة هنا أن يعتذر له بما قرف فلم يقبل منه ، وأمر به فوجئ على أنفه ، وديس على بطنه ، وسحب من بين يديه ، وطلب الفضل في الشدة والقوة عليه ، حتى حبس ، ودس إليه بعد أن أذله من قتله وقالوا : مات[٢] .

وفي سنة (٢٠٦هـ) حين أتى المأمون بمهدي بن علوان الشاري أسيراً ، وهو خارجاً وانتهت خيله الى الشماسية ، وأما البردان وقطربل ، ومسكن وما والاهما فكانت بها منازله ، وروى الفضل بن مروان[*] أنه في سنة ست ومائتين أتى الخليفة المأمون بمهدي الشاري أسيراً ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه وقد وصفه بالعقل[٣] .

وما شهدته هذه المدينة أيضاً في سنة (٢١٥هـ) شخوص المأمون لحرب الروم ، وكان ذلك في يوم السبت ، وكان ارتحاله من الشماسية الى البردان يوم الخميس بعد صلاة الظهر ، واستخلف على بغداد إسحاق بن إبراهيم[**] من بعده ، وتولى أيضاً أمر السواد وحلوان وكور دجلة ، ولما وصل الى تكريت زوج ابنته أم الفضل الى محمد بن

---

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٥٤٢ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٤٧٤ .

(*) الفضل بن مروان : ينظر ترجمته الفصل الثاني ، ص١٠٢-١٠٣ ، برقم : ٦٥ .

(٤) الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٤٥ .

(**) إسحاق بن إبراهيم : هو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي ، أمير بغداد وتولى إمارة بغداد نحواً من ثلاثين سنة ، وأمتحن العلماء في خلق القرآن على يده بأمر المأمون ، وكان حازماً جواداً ممدحاً له فضيلة ومعرفة ودهاء ، مات سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وتولى بعده بغداد ابنه محمد ، ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الارناؤوط ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٨٥م) ، ج١١ ، ص١٧١ .

(**) منبج : بلدة منسجمة الأرجاء صحيحة الهواء ، وبها سور عتيق ، وتحف بها البساتين عامرة بالأسواق والحانات والمخازن ، ولكن قد عمها الخراب وكانت من مدن الروم العتيقة ، ولم بها من البناء آثار ترقى على عظم اعتنائهم بها ، ينظر : ابن جبير ، محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي أبو الحسين (ت٦١٤هـ) ، رحلة ابن جبير ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت ، بلات) ، ص٢٠٠ .

(***) دابق : قرية قرب حلب تبعد عنها أربعة فراسخ ، وبها قبر سليمان بن عبد الملك بن مروان ، حيث عسكر بها وعزم على أن لا يرجع حتى يفتتح القسطنطينية أو تؤدي الجزية ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤١٦

علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن قدم عليه ، ثم سلك المأمون طريق الموصل والى منبج(*) ، ثم دابق(**) ، ثم أنطاكيا(***) والى طرسوس(****) ، ومن ثم الى بلاد الروم(١) .

وساءت العلاقة بين المعتصم والوزير الفضل بن مروان ، غضب عليه وحبسه سنة (٢٢٠هـ) ، وكان للمعتصم في ولاية أخيه ، كاتب يسمى بـ(يحيى الجرمقاني)(٢) ، فلما توفي أصبح بدله الفضل بن مروان ، وكان ذلك من قبل خلافة المعتصم ، أما الفضل فهو رجلٌ من أهل البردان(٣) ، ولما تولي المعتصم الخلافة استولى الفضل على الدواوين كلها ، وكنز الأموال وصار بعدها لا ينفذ أوامر المعتصم(٤) ، فكان المعتصم حين يأمره بإعطاء المغني والنديم لا ينفذ ذلك ، وثقل على المعتصم ذلك(٥) ، وذات مرة دسوا عليه

(*) منبج : بلدة منسجمة الأرجاء صحيحة الهواء ، وبها سور عتيق ، وتحف بها البساتين عامرة بالأسواق والحانات والمخازن ، ولكن قد عمها الخراب وكانت من مدن الروم العتيقة ، ولم بها من البناء آثار ترقى على عظم اعتنائهم بها ، ينظر : ابن جبير ، محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي أبو الحسين (ت٦١٤هـ) ، رحلة ابن جبير ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت ، بلات) ، ص٢٠٠ .

(**) دابق : قرية قرب حلب تبعد عنها أربعة فراسخ ، وبها قبر سليمان بن عبد الملك بن مروان ، حيث عسكر بها وعزم على أن لا يرجع حتى يفتتح القسطنطينية أو تؤدي الجزية ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤١٦

(***) أنطاكيا : مدينة العواصم مدينة جليلة فتحها أبو عبيدة بن الجراح ، وأسكنها المسلمين ، وتعد من الإقليم الرابع ، وعرضها خمس وثلاثون درجة ، وهي مدينة عظيمة ليس في الإسلام ولا في بلاد الروم مثلها ، لأنها في جبل ، ينظر : العزيزي ، المسالك والممالك ، ص٦٤ .

(****) طرسوس : وهي من الإقليم الرابع ، بعدها عن خط الاستواء ست وثلاثون درجة ، بناها الرشيد سنة سبعين ومائة ، ويجري نهر يأتي من بلاد الروم ، وأهلها من أخلاط من الناس ، وخراجها ثلاثمائة ألف دينار ، ينظر : المنجم ، آكام المرجان ، ص٦٢ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٦٢٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص١٨ .

(٣) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٤ ، ص١٨٥ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦ ، ص١٦ .

(٥) النويري ، احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التميمي البكري شهاب الدين (ت٧٣٣هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ط١ ، دار الكتب والوثائق القومية ، (القاهرة ، ١٣٤٣هـ) ، ج٢٢ ، ص٢٤٦ .

عنده من ملأ مجلسه ومساخره من يعيره باستبداده عليه ورد أوامره ، فحقد عليه ثم نكبه في سنة (٢٢٠هـ) ، وصادر أمواله وجميع أهل بيته ، وجعل مكانه محمداً بن عبد الملك بن الزيات(*) ، ورحل بعدها الفضل الى بعض قرى الموصل(١) .

وما شهدته هذه المدينة أنه في سنة (٢٢٣هـ) قدوم الأفشين ببابك للمعتصم ، حيث أوكل المعتصم للأفشين بأن يحضر بابك إليه ، قام الأفشين بتلبية الأمر ، ورحل ثم تلقاه في سامراء وأنزله في قصره الواقع في المطيرة ، وأرسل بخبره الى المعتصم ، ولما علم بذلك لم يصبر المعتصم حتى ركب إليه ، ودخل عليه متنكراً وثم نظر إليه وتأمله ، وأما بابك فكان لا يعرفه ، وعند يوم الغد جلبه المعتصم أمام العامة من الناس الى المطيرة وأراد أن يشهر به ، فقال : على أي شيء يشهر! وكيف يعمل هذا ، فقالوا منهم : لا شيء أشهر من الفيل ، وقد أمر به المعتصم ، فجعل في قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة ، وقال بها محمد بن عبد الملك الزيات شعراً(٢) :

قد خضب الفيل كعادته ... يحمل شيطان خراسان

والفيل لا تخضب أعضاءه ... إلا لذي شأن من شأن

ثم أخذه الناس من المطيرة الى باب العامة ، وأدخل على المعتصم وأحضر جزاراً وكان اسمه نوذ ، وهو سياف المعتصم ، وأمره أن يقطع يديه ورجليه وشق بطنه ، ثم حز رأسه وأرسله الى خراسان ، وأما بدنه فصلب بسر من رأى ، وموضع خشبته مشهورة الى الآن وبعدها أمر بحمل أخيه عبد الله مع ابن شروين بمدينة السلام ، وأمر بضرب عنقه وأن يفعل به ما فعل بأخيه ، فلما صار الى البردان نزل ابن شروين في قصر البردان وسأله ابن شروين من أنت؟ ، فقال : ابن شروين ملك طبرستان ثم قال: الحمد

(*) ابن الزيات : محمد بن عبد الملك بن الزيات أبو جعفر الوزير ، وزير للمعتصم والواثق والمتوكل ، ثم قبض عليه المتوكل وعذبه وسجنه حتى هلك ، وكان أديباً وبليغاً شاعراً محسناً ، ينظر : ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص٧٧ .

(١) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (ت٨٠٨هـ) ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون) ، تحقيق : خليل شحاذة ، ط٢ ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٨٨م) ، ج٣ ، ص٣٢٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص٥٣ .

لله الذي وفق لي الله أن يتولى قتلي من الدهاقين(*) ، قال : إنما يتولى قتلك نوذ وهو الذي قتل بابك(١) .

وفي السنة نفسها أي (٢٢٣هـ) بعد أن قتل المعتصم بابكاً حُمِلَ أخوه وهو عبد الله ابن شروين الى إسحاق بن إبراهيم خليفته بمدينة السلام وأمر بضرب عنقه ، وأن يفعل به ما فعل بأخيه بابك وصلبه(٢) ، حينما وصل ابن شروين الى البردان نزل في قصر ابن شروين ، وأشار الى نوذ في قتله ، ولكن فقد تركه قيل هذا الأمر في أكل الفالوذجة(**) ، فأكل منها وشرب النبيذ أربعة أرطال خمر على مهل الى قرب الصبح(٣) وبعد أن جلبه الى رأس الجسر في مدينة السلام أمر إسحاق بن إبراهيم بقطع يديه ورجليه فلم يتكلم ولم يضطرب ، ثم أمر بصلبه في الجانب الشرقي لبغداد ، وأخذ بعدها الأفشين للمعتصم وهو أخو بابك ووصله عشرين ألف ألف درهم(٤) .

ومن الأحداث الأخرى التي شهدتها البردان في سنة (٢٤٢هـ) إذ يذكر ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) : سقوط صاعقة في البردان فأحرقت رجلين وأصابت ظهر الرجل الثالث فأسود منها(٥) .

وأما في أحداث سنة (٢٥١هـ) ذكر الطبري (ت٣١٠هـ) قد شهدت هذه المدينة فتنة المستضيء والمعتز(٦) ، وكان الجند الأتراك في سامراء ، والمستعين ومن بايعه في بغداد ، فأمر المستعين بأن تحصن بغداد وتوطد أبوابها وجعل لكل باب قائداً ، وأمر

(*) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو المزارع أو الفلاح ، وقيل الدهقان شيخ القرية ، العالم بالزراعة مما يصلح للارض من شجر ، وبالفارسية هو كثر المال أو تاجراً ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠ ، ص٢٧٧ .

(١) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٤ ، ص٢١٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص٥٣ .

(**) الفالوذجة : وهو الطعام الذي يأكله هارون الرشيد ، وهو الأكل المفضل لديه ، وتكون بدهن الفستق ، ولم تكن تعمل في كل الأيام ، ينظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٧٣ .

(٣) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٤ ، ص٢١٩ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١١ ، ص٧٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٢٩٥ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج١١ ، ص٢٨٨ .

ببناء سورين وحفر الخنادق ، حتى بلغت نفقتها ثلاثمائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار ، وجعل على أبوابها العرادات والمجانيق ، فوضع ست عرادات في الشماسية ، وثمان عرادات على باب البردان ، وأمر على أهل خراسان الذين أتوا حجاجاً أن يقاتلوا الأتراك فأعانوه[١] ، فأقتتل الطرفان على أسوار بغداد ، ووقع بينهم جماعة من القتلى ، إلا أن مضى من النهار ثلاث ساعات ، ومن ثم أنصرف الأتراك وبايعوا المستعين[٢] .

ومن الأحداث الأخرى ما آل أمر بغا[*] ووصيف[**] سنة (٢٥٢هـ) ، ذكر لنا الطبري : في هذه السنة كتب المعتز الى محمد بن عبد الله في إسقاط اسم بغا ووصيف من الدواوين ، وعن محمد بن أبي عون أحد قواد محمد بن عبد الله حينما سار الى سامراء وأراد قتل بغا ووصيف ، ولكن قوماً من أصحاب بغا ووصيف كتبوا إليهم كذلك وحذروهما ، فذهب الى منازلهما وجمعوا مواليهم وجندهما ، وأخذوا بشراء السلاح وتفريق الأموال والاستعداد ، وبتلك الأثناء وجه وصيف أخته سعاد الى المؤيد وأعطته ألف ألف دينار أخرجته من قصر وصيف كي تتوسط الى المعتز ليرضى عنه ، وجه بعدها المعتز بالكتاب الى بايكباك؟ في نحو ثلاثمائة رجل ، فأقام بالبردان ووجه إليها الكتاب في تلك السنة ، ثم خرج وصيف وبغا وأولادهما وفرسانهما نحو أربعمائة شخص ودعا أهل بغداد لهما وثم دعوا لهم ، وأما ابن طاهر فقد وجه بندار الطبري ومحمد بن يحيى الى باب الشماسية وباب البردان ليمنعونهما ، ولكن ذهبا من باب خراسان ، واجتمع الموالي وسألوا بردهما الى مراتبهما ، وأمر بذلك ورد ضياعهما ، ثم ركب المعتز الى دار العامة وعقد لبغا ووصيف على أعمالهما ورد ديوان البريد كما كان قبل الى موسى بن بغا الكبير وقبل موسى بذلك[٣] .

---

(١) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٤ ، ص٣٤١ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٢ ، ص٦ .

(*) بغا : وهو بغا الصغير ، والمعروف بالشرابي ، وهو من أحد قواد المتوكل وممن خدم معه ، ولي حجابته بعد وصيف التركي ، وقد تولي فلسطين في أيام خلافة المستعين ، ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٠ ، ص٣٢٧ .

(**) وصيف : واصله تركي ، وكان أميراً كبيراً وخدم جماعة من الخلفاء ، وكان عاقلاً وراجحاً ، ينظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٢ ، ص٧٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص٣٥٥ .

وكانت البردان إحدى المدن التي شهدت شغب الجند والعامة ، وخلال ولاية سليمان بن عبد الله بن طاهر لبغداد سنة (٢٥٥هـ) ، وكان السبب في تلك المصادمات منها أن سليمان قدم الى بغداد من خراسان في جيش من الخراسانيين والصعاليك(*) ، ولم تكن أسماؤهم في ديوان السلطان في العراق ، وأنه أراد أن يقام لمن قدم معه من خراسان مال وضياع ورث في العراق ، أما السبب الآخر : كان الصعاليك وغيرهم أساءوا المجاورة لأهلها ، وجاهروا بالفاحشة ، وتعرضوا للحريم والعبيد والغلمان(١) ، وبهذه الأحوال ورد كتاب من محمد بن الواثق بالبيعة لأخيه سليمان ببغداد ، وأما أخيه المعتز كان بالبصرة ، ولما وقعت العصبية بالبصرة نقلت الى بغداد وصلى الناس في المساجد ودعى فيها للمعتز ، وأرجعوا إليه البيعة ، وهجموا على دار سليمان ، وقدم بعدها يارجوخ(**) ونزل البردان ومعه ثلاثون ألف دينار لإعطاء الجند ممن في مدينة السلام ، ثم وصل الى الشماسية ، وأراد دخولها ، لكن ضج عليه الناس وطالبوه بالخروج ، فرجع الى البردان وأقام بها ، وحدثت بعدها بيعة خاصة الى المهتدي ببغداد يوم الخميس من شعبان ، ودعى إليه يوم الجمعة وفيها قد وقعت ببغداد فتنة ، قتل فيها وغرق بدجلة قوماً ، وجرح قوماً آخرين ، أما دار سليمان فكان يحرسه قوم من الطبرية بالسلاح ، فحاربهم أهل بغداد بشارع دجلة والجسر ، إلا أن استقام الأمر بعد ذلك وسكنوا(٢) .

وعن وثوب العامة في بغداد ، تمكن الجند مع الناس من النيل من سليمان وطاردوهم حتى وصلوا الى دار ابن أوس وانتهبوه بما فيها من مال وملابس واتبعوهم أهل بغداد

(*) الصعاليك : وهم الفقراء والمعوزون من الناس ، وكان من جمعهم وقام بأمرهم وأطعمهم عروة بن الورد بن زيد العبسي ، حتى كان يلقب بـ" عروة الصعاليك " ، وكانوا ينالون شيئاً يسيراً مما يعملون ، أما عروة فهو شاعراً من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها ، وفيه قال عبد الملك بن مروان : من قال أن حاتماً اسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد ، ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١ ، ص٤٦ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص٤٠٠ .

(**) يارجوخ : هو أحد الأمراء تركي الأصل ، الذي عاصر الخليفة المهدي والمعتمد ، فجرت الخلافة للمعتمد المبايعة بالخلافة في دار يارجوخ يوم الثلاثاء لثلاث عشر من رجب سنة (٢٥٦هـ) ، وولاه المعتمد أعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين ، توفي يارجوخ يوم الجمعة سنة (٢٥٨هـ) ، وصلى عليه أبو عيسى المتوكل ، ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص٤٧٦-٥٠١ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٥٤١ .

حتى أخرجوا من باب الشماسية ، ثم قام ابن أوس في الشماسية ليلتها ثم هرب بعد أن نهب بيوت الصعاليك وأرسل سليمان الى ابن أوس أن أرحل الى خراسان ، فلا سبيل لك من الرجوع الى بغداد ، ولا لتتولى شيئاً من الأمر فيها ، فرحل ابن أوس من الشماسية الى رقة البردان على دجلة[١] ، وأقام بها حتى اجتمع بها أصحابه ، ووصل الى النهروان ، ولما انقطعت المارة عن ابن أوس عبثوا بأهل القرى وأكثروا السلب والنهب ، ثم رحل عن النهروان بعد أن ترك أثراً قبيحاً بتلك الناحية ، فأخذ الأموال من أهلها وحمل الطعام في سفن النهر ذاهباً الى اسكاف بني جنيد[**][٢] .

وفي خلافة المعتز شهدت البردان ولاية عبيد الله وخلع سليمان بن عبد الله بن طاهر ، وهنا يذكر الشابشتي (ت٣٨٨هـ) : أرسل محمد بن أبي طاهر ، سليمان الى بغداد سنة (٢٥٥هـ) خليفة له ، وأقر له المعتز بذلك ، ولكن خرج عليه عبيد الله وخلع إليه ولاية شرطة بغداد وعزل سليمان ، فدخل عبيد الله بغداد ومعه خلق كثير من الناس والقواد فتلقاه الناس وفرحوا به ، وبعد ذلك خرج سليمان الى البردان وبهذا الأمر فقد تسلم عبيد الله ولايته الأولى على بغداد سنة (٢٥٧هـ)[٣] .

وفي سنة (٢٧٩هـ) شهدت البردان مقتل أبي عيسى المتوكل[*] ، حيث ذكر ابن عساكر (ت٥٧١هـ) في تلك السنة : قتل أبو عيسى المتوكل ، وكان السبب في مقتله أنه قد كاتب أبا الجيش[**] في أمر ضياعه بدمشق ، وكان " النهيكي " وكيله في ضياعه

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص٤٠٤ .

(*) اسكاف بني جنيد : وهو الموضع الذي ينفتح من ما يتبقى من مياه نهر النهروان في الزراعة ، ينظر : مجهول ، حدود العالم من المشرق الى المغرب ، ص١٦٠ ؛ مجيد ، دراسات في تاريخ ديالى ، ص٣٠٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص٤٠٥ .

(٣) الشابشتي ، الديارات ، ج١ ، ص٣٠ .

(*) أبا عيسى المتوكل : هو محمد بن جعفر بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد أبو عيسى المتوكل ، قدم دمشق مع أبيه ، ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٥٢ ، ص٢٢٢ .

(**) أبا الجيش : هو خمار بن احمد بن طالون المعروف بخمارويه ، كان أميراً ، ولي أمرة دمشق ومصر والثغور بعد أبيه احمد بن طالون ، وكان جواداً ممدحاً ، وأمه جارية اسمها مياس ، ولدته سنة خمسين ومائتين ، ومدة ولايته على مصر اثنتا عشرة سنة وثمانية عشر يوماً ، وقتل سنة اثنتين وثمانين ومائتين من قبل غلمانه ، ينظر : ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، تحقيق : روحية الشماس ورياض عبد الحميد مراد ومحمد مطيع ، ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (دمشق ، ١٩٨٤م) ، ج٨ ، ص٨٨-٩١ .

آنذاك ، وقد تخلف عنه في أموالها بقدر ستة عشر ألف دينار[١] ، وقد استأذن أبى عيسى الخليفة المعتضد حيث كان ولي بالعهد حينها ، فأذن له ، وأهدى لأبا الجيش هدايا قيمة ، ولما علم النهيكي عنهم خاف أبو الجيش على نفسه وكتب الى السلطان ، إن أردتم دولتكم وخلافتكم فأستوثقوا من أبي عيسى المتوكل ، فإنه قد كاتب أبا الجيش ومال إليه أهل مصر ، ووجه المعتضد أمراً بأن يحمل إليه أبا عيسى المتوكل ، وكلف الشعراني بتلك المهمة[٢] ، وأخذ إليه جيشاً ومضى الى دار سيما صاحب الشرطة بسر من رأى ، ثم سلم الى المستأمن البصري الشعراني فقتله بالبردان ، فدلى بالماء وثقل بالحديد ، وأخذوا رأسه ورموا ببدنه في الماء ، وكان هناك خاتم من ياقوت في أصبعه أخذه الشعراني منه ، وجرى ذلك الحدث في وقت بيعة المعتضد في رجب سنة (٢٧٩هـ)[٣] .

وشهدت البردان في سنة (٢٨٤هـ) هروب وصيف الخادم النصراني ، كان متطبب السلطان ، وإن سبب هروبه ، أنه قد أراد العامة من حبسه ومحاسبته ، لأنه شتم النبي محمداً ﷺ ، واجتمع عامة من الناس وطالبوا بإقامة الحد عليه ، وفي يوم الأحد لثلاث عشر اجتمع أهل الطاق الى قنطرة البردان ، ثم مضوا الى السلطان وأدخل جماعة منهم الى المعتضد وخبروه بالأمر ، وأرسل خفيفاً السمرقندي الى يوسف القاضي ، حيث أمر خفيفاً يوسف بالنظر في أمر الخادم ، ومضى معهم خفيف الى يوسف فكادوا أن يقتلوه ويقتلون يوسف ، ولما دخلوا عليه ازدحموا هناك حتى أفلت يوسف منهم ، ودخل باباً وغلقه دونهم ، وبعدها لم يكن للخادم ذكراً ولا كان للعامة في أمره اجتماع[٤] .

ولما ساءت العلاقة بين المقتدر ومؤنس المظفر سنة (٣٢٠هـ) خالف مؤنساً على الخليفة المقتدر ، وخرج من بغداد الى الموصل وبعد خلع يونس وقتله[٥] ، وكان السبب

---

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٥٢ ، ص٢٢٣ .
(٢) ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ج٢٢ ، ص٦٨ .
(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٥٢ ، ص٢٢٤ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج١٠ ، ص٥٢ .
(٥) القرطبي ، عريب بن سعد (ت٢٩١هـ) ، صلة تاريخ الطبري ، منشورات الأعلمي للمطبوعات ، (بيروت ، بلات) ، ص١١٦ .

بذلك أن مؤنس أبعد ياقوت وولده عن الحجابة وأخرجهما من مدينة السلام ، وثم اختار ابني رائق في ملازمة المقتدر وحمايته ، ومن ثم أعطاهما الصلاحيات في الدولة وتقوى ، أمر ابني رائق وتمكنا من الخليفة لقربهما منه ، ولما علما بعد ذلك أن مؤنساً أراد أن يجعل الحجابة الى " يلبق " استوحشا عليه ، وأرسلا ياقوت وولده وغيرهم ، وفي يوم الخميس خرج مؤنس الى باب الشماسية وعسكر بها وقام بالنهب ، فبلغ ذلك المقتدر ، وأمر بشحن القصر بالرجال[١] ، ثم وجه المقتدر أبا العلاء سعيد بن حمدان في خيل الى سرَّ من رأى ثم لحق إليه أبا بكر محمداً بن ياقوت في ألفي فارس ، وبينما وصل مؤنس الى عكبرا ، وصل محمد بن ياقوت مع جماعته الى البردان ، ورجعوا بعدها الى باب الشماسية وعسكروا هناك[٢] ، وبعدها تقدم مؤنس الى المقتدر بالقول : أنه لا يريد الانشقاق وإثارة الفتن ولا يريد محاربته ، ولكن المقتدر عزم إليه والقضاء عليه ، ثم وقعت حرب بين المعسكرين حرباً شديدة ، عندما تمكن مؤنس من عسكر ابن ياقوت يتسللون ويهربون الى بغداد ونزل هو عند باب الشماسية[٣] .

وفي خلافة الراضي أنصرف الوزير أبو علي من الموصل فأقام في البردان لثلاث ليالٍ ليراقب كسوف الشمس ، وخلف بالموصل من بعده علياً بن خلف بن طياب على الخراج[٤] ، ويأنساً المؤنسي على الحرب ، ووافى بهذا الوقت جميع ما كان مع محمد بن خلف ، ولقيهم بعد ذلك القرامطة في " طيزناباذ " فخذله أصحابه وأصابته ضربات وطرح نفسه مع القتلى ، فكان ذلك يوم الأربعاء في إحدى عشر من ذي القعدة ، وبعد وصله الى الكوفة استتر وكان ذلك في سنة (٣٢٣هـ)[٥] .

ويذكر لنا الصولي (ت٣٣٥هـ) أحداث عام (٣٢٧هـ) ، أنه قبض بجكم على سلامة أخي نجاح في ذي الحجة ، وقطع أمره على خمسين ألف دينار ، وأخذ منها بستانه الذي

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج١١ ، ص١٤٢ .
(٢) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٥ ، ١١٧ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج١١ ، ص١٥١ .
(٤) الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت٣٣٥هـ) ، أخبار الراضي بالله والمتقي لله ، تحقيق : ج هيورت دن ، مطبعة الصاوي ، (مصر ، ١٩٣٥م) ، ص٦٨ .
(٥) الصولي ، الأوراق قسم أخبار الشعراء ، شركة الأمل ، (القاهرة ، ١٤٢٥هـ) ، ج٢ ، ص٦٨ .

بالبردان ، وبنى مسجد براثا(*)(١) ، وأخذ الفتوى من بعض الفقهاء بنبش القبور وتحويلها التي كان البربهاري(**) وأصحابه ، والناس قد أخذوا بالدفن فيه ، وأنفق عليه المال وصلى بالناس فيه(٢) .

وفي سنة (٣٣٠هـ) يذكر الصولي : أن أمير الأمراء أبا الوفاء توزون(***) أراد قتل أبي الحسن البريدي ، فإن جماعة من الأتراك وعلى رأسهم الأمير توزون وهو صاحب التدبير بذلك ، ولكن حينها علم توزون أن الخبر قد فشا ، وقد سار على دار مؤنس ليلاً ، ومن ثم حاربه الديلم وكثر الجيش عليه(٣) ، ولم يخرج معه من كان قد وعده ، ثم هرب الى البردان ثم عكبرا ، فقبض على العمال وأخذ جباية الأموال هناك ، ثم سار الى سر من رأى بعد أن لحقه عدد من القواد والجيش وبتلك الأثناء تولي تامر الديلمي شرطة الجانب الشرقي مكان توزون(٤) .

وبالسنة نفسها أي سنة (٣٣٠هـ) وقعت الحرب بين الخليفة المتقي لله وأبي الحسن البريدي ، فذكر الصولي : أن السلطان وابن رائق عزموا على أمر البريدي ، فخلعه من الوزارة وأتى بأبي إسحاق محمد الاسكافي يوم الاثنين ، وبعد ذلك قصد البريدي مع رجاله الحضرة ذلك لمهانة ابن رائق ومطالبة الأتراك بأرزاقهم ، ومضوا الى البريدي في واسط ، وفي يوم الثلاثاء ركب المتقي وأمر العامة بلعن البريدي ، وأمر بإصلاح السفن والمجانيق والعرادات التي هي حول داره(٥) ، وخرج أبو الحسن البريدي من واسط يوم

(*) براثا : محلة عتيقة بجانب بغداد في الكرخ ، وهو مسجد صلى فيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لما رجع من قتال أهل النهروان ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٦٢ .

(١) أخبار الراضي بالله ، ص١٣٦ .

(**) البربهاري : هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف ، جمع العلم والزهد ، وورث أبيه ، كان يبلغ سبعين الف درهم ، وكان سيد الحنابلة وشديداً على أهل البدع ، توفي سنة (٣٢٩هـ) وعمره ست وسبعين سنة بالمخرم ، ثم كشف عن قبره بعد سنين فظهرت منه روائح الطيب حتى ملأت دار السلام ، ينظر : ابن أبي يعلى ، أبو الحسين محمد بن محمد (ت٥٢٦هـ) ، طبقات الحنابلة ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، (بيروت ، بلات) ، ج٢ ، ص١٨ .

(٢) الصولي ، الأوراق قسم أخبار الشعراء ، ج٢ ، ص١٣٦ .

(***) توزون : وهو أمير الأمراء تركي الأصل وكان من صفاته خاصة الغدر ، كما غدر المتقي ، وتعتريه نوبة الصرع ، وكان جباراً طاغياً ظالماً فاسقاً فاتكاً ، قتل الكثير وأخذ الأموال ، ثم مات في هيت في محرم سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٠ ، ص٢٧٦.

(٣) الصولي ، أخبار الراضي بالله ، ص٢٢٦ .

(٤) الصولي ، الأوراق قسم أخبار الشعراء ، ج٢ ، ص٢٢٦ .

(٥) الصولي ، أخبار الراضي بالله ، ص٢٢٤ .

الاثنين ثم ضرب بغداد ، ثم عبر ديالى وحاربهم القرامطة(*) وانهزموا ، ورجع بها الخليفة الى قصره وركب الماء ثم انقطع الجسر فوق الكثير من الرجال والنساء والصبيان وبها قد انهزم ابن رائق وخرجوا مع الخليفة الى باب الشماسية وشجعهم الناس وباتوا في البردان ، ووجه البريدي نداء الى الخليفة أنه لا يريد إلا خدمته وما يريده وما يأمره ، ولكن قد ارتحل الخليفة الى سر من رأى وعزل البريدي في دار قومنس الخادم ، وأمر بحفظ الحرم وأن يجري عليهم جراية واسعة ، وقام أبو عبد الله بضبط الأعمال كلها حينها(١) .

وفي سنة (٣٣٥هـ) ذكر التنوخي قصة الوزير الفضل بن سهل ومسلم بن الوليد(**) فكانا متجاورين في قنطرة البردان(٢) ، وكانا صديقين ، وذكر : لقد عسر مسلم بن الوليد إعساراً شديداً ثم رحل الى دار الفضل فكان متولي وزارة مرو آنذاك ، فرآه ورحب به وقال الست القائل :

فاجر مع الدهر الى غاية ... ترفع فيها مالك الحال؟

فقلت : نعم ، وأمر لي ثلاثين ألف درهم ، وولاني عملاً قد اخترته أنا ، وقال : في تلك السنة ولى الفضل مسلماً بريد جرجان(٣) .

وشهدت البردان في سنة (٣٤٥هـ) أحداثاً ذكرها مسكويه (ت٤٢١هـ) ، وهي محاربة معز الدولة لروزبهان(***) ، وكان السبب في ذلك هو ما حمل عليه الديلم من الخروج معه ومقاتلة معز الدولة وإزعاجه ، واوصفوا باستهزاء ظاهرٍ ، وكانوا يقولون على أصحاب معز الدولة : نعم ، نعم ، كانوا دجاجاً ، وأن نقوم بمحاصرتهم لم يفلت أحداً منهم ، وبذلك جعل من معز الدولة الإسراع يوم الجمعة الى بغداد في اثني عشر يوماً ، وكان حينها أهل بغداد والعامة محبين لمعز الدولة لأنه عمل في سد بثوق نهر "

(*) القرامطة : هي طائفة ظهرت أيام المقتدر العباسي ، زعيمهم أبو طاهر القرمطي الذي قتل كثيراً من الحجاج واقتلع باب الكعبة والحجر الاسود من مكانه ، وتم استرداده الى مكانه بعد أن ظل بعيداً عن مكانه لمدة اثنين وعشرين سنة ، ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٥ ، ص٢٢٤ .

(١) الصولي ، الأوراق قسم أخبار الشعراء ، ج٢ ، ص٢٢٤ .

(**) مسلم بن الوليد : ينظر ترجمته في الفصل الثاني ، ص١١٦-١٢١ ، برقم : ٨٩ .

(٢) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج٣ ، ص٧٨ .

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد وذيوله ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤١٧هـ) ، ج١٢ ، ص٣٣٧ .

(***) روزبهان : واصلة من الديلم ، واسمه روزبهان ونداد خريسة ، من كبار قواد الديلم ، وكان معز الدولة قد رفعه ونوه بذكره ، وما أن لبث أن خرج على معز الدولة مع أخوته في قتاله إلا أن هلك المعز ، ينظر : ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ج٤ ، ص٥٨٣ .

الرفيل[*] " وبثق " بادرويا " ، وبثق النهروانات ، وبها عمرت بغداد ، وبيع الخبز النقي عشرين رطلاً بدرهم ، ومضى معز الدولة الى معسكر قطربل ، بينما وصلا أبو المرجي[**] وأخوه الى عكبرا والى البردان ، ولما علما بوصول معز الدولة انصرفا الى الموصل ، وأما روزبهان فقد حبس بالصراة[***] في حصن كان هناك ، وأراد الديلم إخراجه ، ولكن قد قضي عليه واسقط معز الدولة الديلم الروزبهانية ، وتم له القبض على جماعة من قواده[١] .

ويذكر ابن أبي اصيبعة (ت٦٦٨هـ) في سنة (٣٥٩هـ) حدث حريق في بغداد ، وإن الحرائق قد انحدرت الى بغداد وخارجها ، وكان ذلك من يوم الخميس ، فجاء المأمون والناس عامة الى مدينة السلام ، وأما أبو العباس بن الرشيد فقد خلا في القلائين[****] من الجانب الغربي لمدينة السلام ، وهو بإزاء دار الفضل بن يحيى بباب الشماسية ، وهناك جماعة ممن منازلهم في قنطرة البردان ونهر المهدي أرادوا المسير الى أبي العباس فساروا الى قصر الفضل بن يحيى إزاء أبي العباس ، وكانت حينها الزبيديات توافيهم فتعبرهم النهر ، واجتمعا مع يوحنا بن ماسوية[*****] عند أبي العباس بعد موافاة المأمون بمدينة السلام بثلاثة أيام[٢] .

(*) الرفيل : نهر يصب في دجلة ومأخذه من نهر عيسى وعليه قنطرة الشوك ، ومنسوب هذا النهر الى شخص يدعى الرفيل ، واسمه معاذر بن حنشيش بن ابرويز ، وسمي معاذر بالرفيل حينما أراد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الاسلام ، دخل على الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بثوب ديباج يسحب على الأرض وقال عمر : من ذا الرفيل؟ ، ف*صار له اسماً علماً ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٢٠ .

(**) ابن المرجي : هو عمرو بن كلثوم ، ينظر: الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج١١ ، ص٣٥٢.

(***) نهر الصراة : وهو نهر يتشعب من الفرات الى دجلة ، ويقال له الصراة ، سمي بذلك لأنه قطعة من الفرات ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ، ص٨٢٩ .

(١) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٦ ، ص٢٠٤ .

(****) القلائين : محلة في غربي بغداد ، شرق الكرخ ، وكان في موضعها قبل بناء بغداد قرية يقال لها : ورثالا ويشقها نهر يأخذ من كرفايا ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٣ ، ص١٤٠٥ .

(*****) يوحنا بن ماسوية : كان طبيباً ذكياً فاضلاً خبيراً بصناعة الطب ، وله كلام حسن وتصانيف مشهورة ، وكان حظياً عند الخلفاء والملوك ، ينظر : ابن أبي اصيبعة ، احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين ابو العباس (ت٦٦٨هـ) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، بلات) ، ص٣٤٦ .

(٢) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص٢٤٤ .

وفي البردان قتل أصحاب أبي الفتح محمد بن عناز(*) وهما : زهمان بن هندي وأولاده دلف ومقداد وهندي ، وبتلك الأثناء رجع أبو الفتح محمد بن عناز من حربه في الموصل الى الدسكرة وقلد على حمايتها أبا جعفر الحجاج ، وجرت بينهما مراسلات ومنازعات ، ولكن تقوى بعدها أبا الفتح وضعف زهمان بتلك الأيام ، وبعدها انتهت الحال بينهما الى الصلح والموادعة ، وبذلك حينما قدم زهمان وأولاده الى أبي الفتح قبض عليهم ونقلهم الى قلعة البردان وتفرق أصحابه ، ومضت على ذلك مدة ثأر أولاد زهمان وفك قيودهم وحاولوا الفتك بالموكلين بهم والاستيلاء على القاعة ، ولكن قتلوا في النهاية ، وأخذ زهمان وحبس في بيت وبقى فيه أياماً ثم مات ، كان ذلك سنة ٣٨٩هـ)[١] .

ومن الأحداث الأخرى التي شهدتها البردان في سنة (٣٩٧هـ) ، ما ذكر ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) ، إنْ حدثت حرب ابن مقن وبدر بن حسنويه ، فلجأ محمد ابن عناز الى رافع بن محمد بن مقن وطلب منه العون على بدر بن حسنويه بوصفه كان قد أخذ منه حلوان وقرمسيس ، ولما علم بدر من أمر أبي الفتح أرسل الى رافع ويذكره بمودته معه ويعاتبه بأنه قد أوى عنده خصمه أبي الفتح ، وطلب منه إلا يبعده كي يدوم معه العهد والود القديم ، ولكن لم يستجيب له رافع ، وقام بدر بإرسال جيشاً الى أعمال رافع في الجانب الشرقي من دجلة فنهبها ونهب داره الذي في المطيرة ، وثم ذهبوا الى قلعة البردان ، والتي كانت لرافع ففتحوها قهراً وأحرقوا ما كان فيها من الغلاة ، وأطموا بئرها ، وبهذه الحال سار أبو الفتح الى عميد الجيوش ببغداد فخلع عليه ووعده بنصره[٢] .

وكان لوقوع البردان على الطريق الرئيس بين بغداد والموصل فقد جرت عليها الويلات والخراب بكثرة الجيوش التي كانت تطرقها وتمر بها خلال النزاعات أيام البويهيين والسلاجقة ، ففي سنة (٤٤٦هـ) مثلاً نهبت البردان وفعل بها كل قبيح لأن بهذه السنة وصل إبراهيم بن إسحاق ، وهو من الأمراء الغزية السلجوقية الى الدسكرة ، وكان

(*) محمد بن عناز : وهو أبو الفتح ، وكان قد حكم دقوقاً ، وكانت إمارته لمدة عشرين سنة ، توفي بحلوان وتولى بعده أبنه أبو الشوك ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٧ ، ص٥٧٤ .

(١) مسكوية ، تجارب الأمم ، ج٧ ، ص٤٠٠ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٧ ، ص٥٤٧ .

مقيماً بحلوان[١] ، فافتتحها ونهبها وصادر النساء ، ثم سار الى رشقباذ وقلعة البردان ، وكانت لسعدي بن أبي الشوك[*] وبها أمواله فامتنعت عليه فخرب ما حولها من القرى ونهبها ، وبذلك قوي أمر الغز في البلاد وضعف أمر الديلم والأتراك[٢] ، ولما ساءت العلاقة بين عدي بن أبي الشوك والسلطان طغرل بك ، أرسل الأخير بدراً بن المهلهل ونهب القرى ومنها البردان ، كان ذلك في سنة (٤٤٦هـ) ، وسبب ذلك كان ابن سعدي عند السلطان طغرل بك رهينة وراجعه إليه عوضاً عن المهلهل لأخي أبي الشوك ، ولكن عصى أبو الشوك ذلك عند السلطان طغرل بك ، ثم سار الى حلوان ووضع منها ، وبقى يتردد ما بين رشقباذ والبردان ، وبهذا فقد خالف ابن أبي الشوك طغرل بك ، ورجع في طاعة الملك الرحيم[**] ، وحينها أرسل طغرل بك بدران بن المهلهل مع العساكر الى شهرزور ، ثم سار بالسنة نفسها الى الدسكرة ونهبها وفعل كذلك في قلعة رشقباذ والبردان[٣] ، وذكر ابن الأثير عن حدوث الوقعة ما بينهم وقال : سار إليه إبراهيم بن إسحاق وسخت كمان ، وهما من أعيان عسكر طغرل بك ، وعسكروا مع بدر بن مهلهل ، فاوقعوا به وانهزم هو وأصحابه ، وعاد القز الى حلوان ، وبدر الى شهرزور ، وسعدي الى قلعته في رشقباذ[٤] ، وأضاف ابن الأثير أيضاً عن الأحداث في تلك السنة وكان سببها : تخلف وزير الملك الرحيم على الأتراك بدفع أموالٍ كثيرة من رسومهم ، فطالبوه

---

(١) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص١٢ .

(*) سعدي بن أبي الشوك : وهو من أحد القادة الذين أطاعوا السلطان طغرل بك في نواحي الري ، وكان خادمه فأرسله طغرل بك بالعساكر إلى العراق وغزوته فيها عام (٤٤٤هـ) حتى بلغ النعمانية وغيرها ، وكانت أعماله النهب والسلب والحرق وسرقة الأثاث ، ينظر : ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ج٣ ، ص٥٦٤ .

(٢) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٥٦٦ .

(*) الملك الرحيم : واسمه خسرو بن الملك أبي كاليجار بن الملك سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه أبو نصر ، وكان خاتمة ملوك بني بويه الديلم ، انتزع ملكه السلكان طغرل بك وسجنه بقلعة الري ، توفي في حبسه سنة خمسين وأربعمائة ، ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٣ ، ص٣٤١ .

(٣) ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ج٤ ، ص٦٩٩ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٨ ، ص١١٣ .

بالمالك ولكنه اختفى بدار الخلافة ، فحضر الأتراك بالديوان مطالبين به وشكوا عنه ، فاضطربت العامة من الناس وأخفوا أموالهم ، ثم حضر البساسيري(*) الى دار الخلافة لمعرفة خبر الوزير ، وفي تلك الأثناء قام جماعة من الأتراك بنهب دار الروم ، وأحرقوا البيع والمحلات ونهبوا دار الوزير البساسيري ، ونهبوا كل من ورد الى بغداد ، بينما كان البساسيري غير راضٍ عن فعلتهم ، وتردد الأمر إلا أن ظهر الوزير وأعطاهم أموالهم من ماله وثمان دواب وغيرها ، ولكن لم يتوقف النهب والغارة والقتل ، وخربوا البلاد وتفرق أهلها وانحدر أصحاب قريش بن بدران(**) من الموصل ونهبوا البردان ، وكان بها دواب وجمال البساسيري ، ووصل الخبر الى بغداد فازدادوا خوف الناس من العامة والأتراك ، وعظم انحلال السلطنة بالكمال وكان كل هذا سببه من ضرر الخلاف(١) .

(*) الباساسيري : واسمه ارسلان التركي أبو الحارث وهو منسوب الى مدينة بسا ، وهي مدينة ببلاد فارس ، ونسب إليها بالتسمية ، وقتل في سنة (٤٥١هـ) ، ينظر : العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج٣ ، ص١٣٤٧ ؛ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الأربلي (ت٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : أحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٠٠م) ، ج١ ، ص١٩٢ .

(**) قريش بن بدران : هو ابن المقلد بن المسبب أبو المعالي الأمير العقيلي صاحب الموصل ، تولاها عشرين سنة ، ثم مات بالطاعون وله من العمر إحدى وخمسون سنة ، ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٢٤ ، ص١٢٨ .

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٨ ، ص١١٦ .